البُعد النفسيّ والسلوكيّ
في النظمِ القرآني

(دراسةٌ تفسيريةٌ تطبيقيةٌ من خلال آيات الصيام في سورة البقرة)

إعداد

د/ إبراهيم علي علي عامر

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين والدعوة بطنطا

البُعد النفسيّ والسلوكيّ في النظمِ القرآني
(دراسةٌ تفسيريةٌ تطبيقيةٌ من خلال آيات الصيام في سورة البقرة)

إبراهيم علي علي عامر
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بطنطا، جامعة الأزهر، طنطا، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: ebraheemaamer.27@azhar.edu.eg

الملخص:
يهدف البحث إلى الكشف عن البعد المتعلق بنفسية المخاطب وسلوكياته في النظم القرآني؛ من خلال بيان أصوله النظرية؛ ومن ثمّ معالمه التطبيقية ودلالاته في ضوء نظم آيات الصيام في سورة البقرة.
ويتكون البحث من تمهيد ومبحثين؛ خصص التمهيد للتعريف بمصطلحات البحث. وخصص المبحث الأول لموقع البعد النفسي والسلوكي من النظم والتفسير، واختص المبحث الثاني بالدلالات النفسية والسلوكية في نظم آيات الصيام في سورة البقرة. وقد انتهج البحث منهجًا تكامليًا، جمع بين: الاستقراء والتحليل والوصف. وخلص البحث إلى نتائج، أهمها: أصلية البعد النفسي والسلوكي في النظم والتفسير، وبراعة النظم القرآني من خلال بعده النفسي والسلوكي في تكوين صورةً مثالية للصائم، وضرورة توظيف لطائف النظم القرآني من خلال معالم هذا البعد في تعديل السلوكيات غير المقبولة، وتعزيز المقبول منها، وضرورة الإفادة من البعدين النفسي والسلوكي للنظم في الدرس الإعجازي في القرآن الكريم.
الكلمات المفتاحية: الإعجاز – أسلوب القرآن – أحكام القرآن – بيان القرآن – تأثير القرآن – التشريع القرآني.

The psychological and behavioral aspect in the Quranic systems The psychological and behavioral aspect in the Quranic systems
(Applied explanatory study through the verses of fasting in Surat Al-Baqarah)

Ibrahim Ali Ali Amer
Department of Interpretation and Sciences of the Qur'an, Faculty of Fundamentals of Religion in Tanta, Al-Azhar University, Tanta, A.R.E
Email: ebraheemaamer.27@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to reveal the dimension related to the interlocutor's psychology and behavior in the Qur'anic systems. By stating its theoretical origins; And then its practical features in light of the systems of the verses of fasting in Surat Al-Baqarah.

The research consists of a preface and two chapters; Dedicate the preamble to the definition of search terms. The first topic was devoted to the site of the psychological and behavioral dimension of systems and interpretation, and the second topic was devoted to psychological and behavioral indications in the verses of Hajj in Surat Al-Baqarah. The research adopted an integrative approach, which combined: induction, analysis, and description. The research concluded with results, the most important of which are: the originality of the psychological and behavioral dimension in the systems and interpretation, the ingenuity of the Qur'anic systems through its psychological and behavioral dimension in forming an ideal image of the fasting person, the necessity of employing the characteristics of the Qur'anic systems through the features of this dimension in modifying unacceptable behaviors, and strengthening the acceptable ones, and the necessity Benefiting from the psychological and behavioral dimensions of systems in the miraculous lesson in the Noble Qur'an**.**

Key words: Miracles - The Style Of The Qur'an - The Provisions Of The Qur'an - The Statement Of The Qur'an - The Influence Of The Qur'an - The Qur'anic Legislation**.**

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد رسول الله الأعظم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن تبعهم إلى يوم الدين وسلّم.

أما بعد ...

فقد أولى القرآن الكريم كافة جوانب حياة الإنسان وما يتصل بها عناية فائقة شاملة لكل متطلبات تحقيق الفلاح والسعادة في الدارين.

ومن بين تلك الجوانب التي احتفى بها القرآن الكريم: النفس وما يتصل بها من السلوك البشري؛ حيث إن التلازم بينهما ظاهر؛ فكلما تأثرت نفس الإنسان؛ انعكس هذا على سلوكه وممارساته.

وقد حفل النظم القرآني بالعديد من الآيات التي تعالج ما يتعلق بالنفس البشرية والسلوك؛ فأرشد إلى ضرورة تدبر أحوال النفس في نحو قوله تعالى:﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ الذَّارِيَات الآيه ٢١ [١]، كما قرر حقيقة تنوع قواها وأحوالها؛ مما يستلزم انتباه المكلف إلى تحصيل توفيق الله تعالى للنفس بالفلاح؛ كما يفهم من قوله تعالى:﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾ الشمس ٧ :١٠[٢]، وتوفيقه تعالى لها بالنجاة من أدوائها وعللها المهلكة؛ كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ الحشر الآيه ٩ [٣].

---

١ – يراجع: لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، د.ت) (٤٦٤/٣).

٢ – يراجع: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الثالثة،١٤٢٠هـ) (١٧٦/٣١، ١٧٧).

٣ – يراجع: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (بيروت: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م) (٤٢٨/٢٣).

وهذا كله من شأنه أن يوجه عناية المشتغل بعلوم القرآن والتفسير نحو الجوانب النفسية والسلوكية في الدرس التفسيري بصورته العامة.

من هنا جاءت هذه الدراسة الموجزة، بعنوان: (الجانب النفسي والسلوكي في النظم القرآني "دراسة تفسيرية تطبيقية من خلال آيات الصيام في سورة البقرة").

- حدود البحث:

يركز البحث على دراسة المظاهر العملية والتطبيقية للبُعد النفسي والسلوكي في النظم القرآني؛ من خلال بيان الأصول النظرية له؛ ومن ثمّ الآثار التطبيقية والعملية في الدلالات التفسيرية؛ في ضوء نظم الآيات المتعلقة بالصيام وهي: الآيات (١٨٣-١٨٥)، والآية (١٧٨) من سورة البقرة.

- أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث من وجوه؛ أهمها:

١- الكشف عن مداخل جديدة لدرس إعجاز النظم القرآني.

٢- تيسير إدراك بعض جوانب فكرة النظم؛ بصورة تشهد لبراعتها وشمولها.

٣- الكشف عن معلم من معالم براعة البيان القرآني في خطاب النفس والسلوك.

٤- إسهامه في تأصيل الدراسات النفسية والسلوكية، وتعزيز إفادتها من القرآن الكريم.

٥- محاولته استنباط بعض هدايات القرآن الكريم المتعلقة بالأسلوب الأمثل لتحقيق صحة النفس وقناعتها بالتوجيه الشرعي، ومن ثم ضبط السلوك أو تعديله.

- مشكلة البحث:

تتلخص المشكلة الرئيسة للبحث في: غلبة النظرة السائدة إلى فكرة النظم على اعتبار كونها فكرة لغوية أو أسلوبية محضة؛ مما قد يقصر الدرس الإعجازي فيها على تلك المضامين اللغوية واللطائف الأسلوبية، وعلى الرغم من عظم تلك المضامين وسمو شأنها، فإن في تلك النظرة قصورًا نسبيًا في إدراك مضامين فكرة النظم، ومن بينها البعد النفسي والسلوكي.

ويمكن تفصيل مشكلة البحث من خلال الأسئلة الآتية:

- ما المراد بالجانب النفسي والسلوكي في النظم القرآني؟
- ما موقع البعد النفسي والسلوكي من النظم؟
- ما موقع البعد النفسي والسلوكي من التفسير؟
- ما الدلالات النفسية في نظم آيات الصيام في سورة البقرة؟
- ما الدلالات السلوكية في نظم آيات الصيام في سورة البقرة؟
- هل يمكن توظيف البعد النفسي والسلوكي في النظم القرآني في الدرس المعاصر؟

- أهداف البحث:

يمكن إجمال أهداف البحث في:

١- بيان مفهوم الجانب النفسي والسلوكي في النظم القرآني.

٢- الكشف عن حدود علاقة النظم القرآني بالنفس.

٣- الكشف عن حدود علاقة النظم القرآني بالسلوك.

٤- الكشف عن بعض الدلالات النفسية للنظم القرآني.

٤- الكشف عن بعض الدلالات السلوكية للنظم القرآني.

٥- توظيف دراسة الجانب النفسي والسلوكي في الدرس الإعجازي للقرآن الكريم.

٦- الكشف عن سبق المفسرين إلى إدراك البعد النفسي والسلوكي في النظم.

- الدراسات السابقة:

وقفت على دراسة عالجت مسائل تتعلق بالموضوع وتناولت بعض فروعه؛ وهي:

- كتاب: "التعبير القرآني والدلالة النفسية"، د. عبد الله محمد الجيوسي، مطبوع ومنشور، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

ويهدف الكتاب بصورة عامة إلى بيان: الضوابط والمعايير التي يجب مراعاتها عند تفسير القرآن الكريم من الوجهة النفسية.

وقد تناول المؤلف الدلالة النفسية بالتعريف، وبين عددًا من المتعلقات الموضحة لها، كما عقد فصلًا عن (النظم القرآني والجوانب النفسية)، أشار فيه إشارةً سريعة إلى الصلة بين النظم والمعاني النفسية، ثم تناول بيان أوجه هذه الصلة من خلال أنماط النظم، وأمثلة لكلٍ.

وقد خلصت الدراسة إلى أهمية الجانب النفسي في التفسير؛ لكونه جانبًا مناسبًا للبشرية جمعاء، وإلى أن الإعجاز النفسي لا يعتبر وجهًا مستقلًا، بل لا بد أن يسير بجانب الإعجاز البياني.

ويختلف بحثي عن الكتاب في الموضوع والمنهج؛ أما الموضوع فالكتاب يعالج الجوانب النفسية في تفسير القرآن الكريم بصورة عامة، ومن ضمنها النظم، بينما يركز بحثي على البعدين النفسي والسلوكي في النظم القرآني، وأما المنهج؛ فالكتاب يغلب عليه الطابع النظري، بينما يركز بحثي على الجانب التفسيري التطبيقي.

- منهج البحث:

ينتهج البحث منهجًا متكاملًا، يتكون من:

- الاستقراء؛ وذلك على أسلوبين: (تام): وذلك في تتبع آيات الصيام في سورة البقرة لاستنباط وجمع ما فيها من جوانب تتعلق بموضوع البحث، و(غير تام): وذلك في تتبع الجزئيات المتعلقة بالبحث من خلال ما توفر من كتب التفسير وغيرها من المراجع.
- التحليل؛ وذلك لما جُمع من جزئيات تتعلق بالبحث؛ لاستنباط ما فيها من فوائد وهدايات تتعلق بموضوع البحث.

وقد التزمت عددًا من الخطوات المنهجية في البحث، أهمها:

١- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها في صلب البحث، عقب ذكر الآية.

٢- عزو أقوال العلماء وكل ما أفدته من كلامهم إلى مصادرها، واتبعت لذلك طريقتين:

- الأولى: إذا كان المنقول نصًا؛ يوضع بين علامتي تنصيص "....."، ويكون التوثيق في الحاشية بذكر اسم المصدر مباشرة.
- الثانية: إذا كان المنقول غير نص (صياغة جديدة للكلام، أو استيعاب لمعناه) لا يوضع بين علامتي تنصيص، ويكون ذكر اسم المرجع في الحاشية مسبوقًا بكلمة: يراجع، أو يراجع في هذا ....

٣- لم أترجم للأعلام الواردة في صلب البحث؛ قصدًا للإيجاز والاختصار.

٤- أذكر بيانات المرجع أو المصدر كاملة، في أول ذكر له، ثم أقتصر في المرات التالية على ذكر اسم الكتاب والصفحة فقط.

٥- أقوم بالتعريف بالمصطلحات الضرورية من مصادرها، أول ورود لها في البحث.

٦- قد أذكر في الحاشية تفصيلات أراها مهمة لتوضيح ما أشير إليها إجمالًا في الصلب.

- تقسيم البحث:

يتألف البحث من مقدمة وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، تفصيلها كالآتي:

- **المقدمة وتتضمن:** حدود البحث، وأهدافه، وأهمية الموضوع، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.
- **التمهيد: تعريفات ومفاهيم، وفيه مطلبان:**
- **المطلب الأول:** التعريف بمصطلحات البحث (الجانب النفسي والسلوكي – النظم القرآني).
- **المطلب الثاني:** المفهوم الإجمالي لعنوان البحث.
- **المبحث الأول:** البعد النفسي والسلوكي بين النظم والتفسير، وفيه مطلبان:
- **المطلب الأول:** موقع البعد النفسي والسلوكي من النظم.
- **المطلب الثاني:** موقع البعد النفسي والسلوكي من التفسير.
- **المبحث الثاني:** الدلالات النفسية والسلوكية في نظم آيات الصيام في سورة البقرة، وفيه مطلبان:
- **المطلب الأول:** الدلالات النفسية والسلوكية في الآيات (١٨٣-١٨٥).
- **المطلب الثاني:** الدلالات النفسية والسلوكية في الآية (١٧٨).
- **الخاتمة: وتتضمن:**
- **أولًا: النتائج.**
- **ثانيًا: التوصيات.**
- **ثبت بمراجع البحث.**

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله تعالى وبارك على سيدنا محمد رسول الله الأعظم

وعلى آله وصحبه وسلّم

التمهيد

تعريفات ومفاهيم

يدور محور البحث حول عدد من المصطلحات، الموصلة إلى إدراك مفهومه الشامل، وهذا ما أتناوله بإيجاز في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث:

أولًا: التعريف بالبُعد:

البُعد في اللغة مفردٌ، جمعه: أبعاد، وأصله (خلاف القرب)، وتستعمل مادته وما يشتق منها بناءً على هذا الأصل في المحسوس؛ فيقال: بَعُد الرجلُ، وبَعِد، بُعْدًا وبَعْدًا، فهو بعيد، وفي المعقول؛ كوصف الضلال به في قوله تعالى:﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ النساء الآية ٦٠، كما يستعمل لفظ (البُعد) في معاني: (الهلاك) و(اللعن) و(الموت)؛ كقوله تعالى:﴿ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾هود الأية ٩٥؛ أي: هلكت، وقولهم: أبعده الله؛ أي: لا يرثى له فيما نزل به، وقولهم: بُعدًا له وسحقًا، وأكثر ما يكون ذلك في الدعاء [1].

١- يراجع: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، الأولى، د.ت) [مادة: ب ع د] (٥٣/٢، ٥٤)؛ وتهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى، ٢٠٠١م) [مادة: ب ع د] (١٤٥/٢)؛ ومقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) [مادة: ب ع د] (٢٦٨/١)؛ والمفردات في غريب القرآن، أبو الحسين الراغب الأصفهاني (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) [مادة: ب ع د] (ص: ١٣٣)؛ وأساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) [مادة: ب ع د] (٦٨/١)؛ ولسان العرب، ابن منظور الإفريقي (بيروت: دار صادر، الثالثة، ١٤١٤ هـ) [مادة: ب ع د] (٨٩/٣)؛ والتبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الهائم المصري =

وبناءً على هذا الأصل استعمل لفظ (البُعد) المضاف إلى (شيء ما) بمعنى المظاهر العملية للشيء وأهميته؛ يقال: أبعاد هذا الأمر؛ أي: أهميته ومظاهره العملية [١].

وعرّف البُعد في الاصطلاح بتعريفات متعددة [٢]؛ أقربها إلى مراد عنوان البحث تعريفه في العرف العام بأنه: السمات والمظاهر العملية للشيء.

ثانيًا: التعريف بالنفس:

النَفْسُ في اللغة واحدة النُّفُوس، وتدل أصل مادتها اللغوية (ن ف س) على سريان شيء لطيف كيف كان في فتوق أثناءِ الشيء؛ سواءٌ كان الساري ريحًا أو غيرها [٣].

=

(طنطا: دار الصحابة للتراث، الأولى، ١٩٩٢م) (ص: ١٩٢)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (الكويت: دار الهداية، الأولى، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م) [مادة: ب ع د] (٤٣٣/٧)؛ ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أ.د أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م) [مادة: ب ع د] (٢٢٥/١)؛ والمعجم الاشتقاقي المؤصل، أ.د/ محمد محمد جبل (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م) [مادة: ب ع د] (١٤٤/١، ١٤٥).

١- يراجع: معجم اللغة العربية المعاصرة [مادة: ب ع د].

٢- يراجع: كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م) (ص: ٤٦)؛ والتوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري (القاهرة: عالم الكتب، الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) (ص: ٨٠).

٣- يراجع: مقاييس اللغة [مادة: ن ف س] (٤٦٠/٥)؛ والمعجم الاشتقاقي المؤصل [مادة: ن ف س] (٢٢٣٧/٤).

وبناءً على هذا الأصل استعمل لفظ النفس للدلالة على معانٍ منها: الروح؛ يقال: خرجت نفسه؛ أي: روحه، والدم؛ ومنه النفاس، والخُلق، والجلادة، والسخاء؛ كقولهم: رجلٌ له نفسٌ، والماء؛ سمي بذلك لأن به قوام النفس، وعين الشيء وحقيقته (ذاته)؛ يقال: ادفع إلى الشيء نفسه؛ أي: عينه، ولفظ (النفسي) اسم منسوب إلى النفس [1].

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ (النفس) لمعانٍ؛ منها: الروح؛ ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ التوبة الآية ٥٥ ، والقلب؛ ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾ هود الآية ٣١، والعقل؛ ﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ الأنبياء الآية ٦٤، والجنس والأصل؛ ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ التوبة الآية١٢٨، والذات؛ ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ البقرة الآية ٨٥ ، والقرابة؛ ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ النور الآية ١٢، والأهل؛ ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ النور الآية ٦١ [2].

وأقرب الاستعمالات إلى مراد البحث أن تكون النفس بمعنى (باطن الذات)؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ ﴾ يوسف الآية ٥٣ [3].

١- يراجع: العين [مادة: ن ف س] (٢٧٠/٧)؛ وجمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (بيروت: دار العلم للملايين، الأولى، ١٩٨٧م) [مادة: ن ف س] (٨٤٨/٢)؛ وتهذيب اللغة [مادة: ن ف س] (٨/١٣)؛ والمفردات في غريب القرآن [مادة: ن ف س] (ص: ٨١٨)؛ ومعجم اللغة العربية المعاصرة [مادة: ن ف س] (٢٢٥٤/٣، ٢٢٥٥).

٢- يراجع: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، أ.د أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل (الرياض: مؤسسة سطور المعرفة، الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) [مادة: ن ف س] (ص: ٤٥١).

٣- يراجع: المعجم الاشتقاقي المؤصل [مادة: ن ف س] (٢٢٣٨/٤).

وعرّفت النفس في الاصطلاح بتعريفات [١]، أقربها إلى المراد بالبحث أنها: القوة الآمرة التي في باطن ذات الإنسان [٢].

ثالثًا: التعريف بالسلوك:

السلوك مصدرٌ فعله (سلَكَ)، يدل أصله اللغوي على: نفوذ شيء في أثناء شيءٍ بدقةٍ وامتدادٍ، ومنه اشتُق المسلَك بمعنى الطريق [٣].

وبناءً على هذا الأصل استُعمل السلوك بمعنى: النفاذ في الطريق؛ يقال: سلكت الطريق، وسلكت كذا في طريقه، ويستعمل ذلك في الحس والمعنى، حقيقةً ومجازًا [٤].

وقد استعمل السلوك في الاصطلاح العام بمعنى: حسن السياسة والتصرف في الأمور، أو مع الناس، كما يطلق على سيرة الإنسان وتصرفه واتجاهه [٥].

١- يراجع: كتاب التعريفات (ص: ٢٤٢)؛ والتوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٣٢٧)؛ الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط.ت) (ص: ٨٩٧، ٨٩٨).

٢- يراجع: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: مكتبة الآداب، الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م) (ص: ١٣٤).

٣ - يراجع: تهذيب اللغة [مادة: س ل ك] (١٠/ ٣٨)؛ ومقاييس اللغة [مادة: س ل ك] (٣/ ٩٧)؛ والمعجم الاشتقاقي المؤصل [مادة: س ل ك] (٢/ ١٠٦١).

٤ - يراجع: المفردات في غريب القرآن [مادة: س ل ك] (ص: ٤٢١)؛ وأساس البلاغة [مادة: س ل ك] (١/ ٤٧٠).

٥ - يراجع: تكملة المعاجم العربية رينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م) (٦/ ١٣٠)؛ و معجم اللغة العربية المعاصرة [مادة: س ل ك] (٢/ ١٠٩٧).

والسلوك المقصود في عنوان البحث من مصطلحات علم النفس، ويراد به: " مجموع ما يقوم به الكائن الحي من ردود فعل مترتبة على تجاربه السابقة " [١].

والسلوك بهذا المعنى يشمل ما هو ظاهر يمكن إدراكه من قبل الآخرين؛ كتناول الطعام والشراب والمشي، ونحوها من الأفعال الظاهرة، كما يشمل ما هو غير مدرك إلا من صاحبه؛ كالتفكير الصامت والتخيل والتذكر والانفعالات، بل إنه يشمل ما لا يستطيع صاحبه نفسه من إدراكه؛ نحو ما يعتمل داخل النفس من دوافع ورغبات وآمال تندرج تحت نوع (اللاشعور)؛ كتلك السلوكيات التي تقع للفرد في خيالات الأحلام وأثناء النوم [٢].

من خلال ما سبق يمكن تلخيص المراد بالبُعد النفسي والسلوكي بأنه: السمات والمظاهر العملية المتعلقة بالقوة الآمرة في باطن ذات الإنسان، وما يترتب على ذلك من ردود أفعال وتصرفات.

رابعًا التعريف بالنظم:

النظم في اللغة: مصدرٌ فعله: نَظَمَ، ويدل أصل مادته على التأليف وضم شيء إلى شيء آخر [٣]؛ وبناءً على هذا الأصل استعمل لفظ (النظم) في معانٍ؛ أهمها:

---

١ – المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا (بيروت: دار الكتاب اللبناني، الأولى، ١٩٨٢م) (٦٧١/١).

٢ – يراجع: معجم علم النفس والتحليل النفسي، د. فرج عبد القادر طه ومجموعة مؤلفين (بيروت: دار النهضة العربية، الأولى، د.ت) (ص: ٢٢٥، ٢٢٦).

٣ – يراجع: مقاييس اللغة [مادة: ن ظ م] (٤٤٣/٥)؛ وتاج العروس [مادة: ن ظ م] (٤٩٦/٣٣).

– نظم القرآن: أي لفظه، وهي العبارة التي تشتمل عليها المصاحف صيغةً ولغةً.

– ما يقابل النثر من الكلام الموزون المقفى، وقد يطلق على الشعر[١].

وهكذا يدور استعمال النظم في اللغة حول معاني الاتساق والائتلاف والتناسب والتلاؤم بين عناصر الشيء، وذلك في جانبي المحسوس والمعقول؛ حقيقةً ومجازًا.

وعرف النظم في الاصطلاح بتعريفات؛ من أشهرها:

– أنها: " توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني أولًا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك" [٢].

---

١ – يراجع: العين، [مادة: ن ظ م] (١٦٥/٨، ١٦٦)؛ وجمهرة اللغة [مادة: ن ظ م] (٢/ ٩٣٥)؛ وتهذيب اللغة، [مادة: ن ظ م] (١٤/ ٢٨٠)؛ والمحيط في اللغة، أبو القاسم إسماعيل بن عباد (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى، ١٤١٤هـ –١٩٩٤م) [مادة: ن ظ م] (٣٥/١٠)؛ والصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (بيروت: دار العلم للملايين، الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) [مادة: ن ظ م] (٥/ ٢٠٤١)؛ ومقاييس اللغة [مادة: ن ظ م] (٤٤٣/٥)؛ ولسان العرب [مادة: ن ظ م] (١٢/ ٥٧٨)؛ والقاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثامنة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م) [مادة: ن ظ م] (ص: ١١٦٢)، تاج العروس [مادة: ن ظ م] (٤٩٦/٣٣، ٤٩٩)، معجم اللغة العربية المعاصرة [مادة: ن ظ م] (٣/ ٢٢٣٥).

٢ – دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى،١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م) (ص: ٢٨٨).

ويُقصد بالمعاني النحوية أو معاني النحو: الدور الذي تؤديه الكلمة في التركيب عن طريق مكانتها في الجملة، أو طريق صياغتها، أو طريق معناها [١].

ويمكن تعريف فكرة النظم بصورة مفصّلة بأنها: إدراك المعاني النحوية، والملاءمة بينها وبين المعاني النفسية في نسج الكلام وتركيبه، مما يؤدي إلى حسن اختيار الألفاظ، ودقة التأليف والتنسيق في التراكيب المختارة والصيغ المستعملة؛ على وجه يبرز الأسرار والنكت في أسلوب القرآن، ويكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب، ويربط هذه الخصوصيات بالسياق والغرض [٢].

خامسًا: التعريف الإجرائي بعنوان البحث:

من خلال ما سبق يمكن صياغة تعريف إجرائي بعنوان البحث، كالآتي:

دراسة (السمات والمظاهر العملية المتعلقة بالقوة الآمرة في باطن ذات الإنسان، والآثار السلوكية لها) المضمنة في النظم القرآني ؛ من خلال نظم آيات الصيام في سورة البقرة؛ وذلك بغرض بيان آثارها في التفسير والمعاني والهدايات القرآنية، وما يتعلق بذلك من البراعة، والدقة، والتناسب، ونحوها من متعلقات فكرة النظم.

---

١ – يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٦٠، ٦١)؛ ودراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أ.د/ أحمد درويش (القاهرة: مكتبة الزهراء، الأولى، د.ت) (ص: ٣٤).

٢ – يراجع: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، أ.د/ محمد أبو موسى (القاهرة: دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.ت) (ص: ١٨٩)؛ ودراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث (ص: ٣٦).

المبحث الثاني

البُعد النفسي والسلوكي بين النظم والتفسير

يمثل النظم كما يفهم من تعريفه السابق صورةً متكاملة لصناعة دقيقة تمزج بين المعاني والألفاظ المعبرة عنها ببراعة ودقة، وهذا هو معيار تفضيل نظم على نظم وكلام على كلام، ويرتبط التفسير بالنظم القرآني ارتباطًا وثيقًا؛ من جهة ترتبه على أنماطه وأساليبه؛ ولهذا لا يستوى المعنى في كل من (أقلت؟) و(أأنت قلت؟) مثلًا [١]، ويرى البحث أن للبعد النفسي والسلوكي موقعًا من كل من النظم والتفسير؛ لذا كان من الضروري تحديد موقع البعد النفسي والسلوكي من كل من النظم والتفسير، ورصد معالم تلك العلاقة ووجوهها، وهذا ما تتضمنه المطالب الآتية.

المطلب الأول: بين البُعد النفسي والسلوكي والنظم:

يمكن لمتأمل جوانب فكرة النظم أن يقف على عدد من الوجوه التي تكشف أصالة العلاقة بين الجوانب النفسية والسلوكية وفكرة النظم، وهي:

- الوجه الأول: أن للبعد النفسي دورًا أصليًا في صياغة فكرة النظم وتبلورها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله – [٢]، وذلك من جهتين:

---

١ – يتلخص دستور أهل البيان في مسألة التقديم والتأخير بعد همزة الاستفهام: أن ما يلي الهمزة غالبًا هو المقصود بالاستفهام؛ سواءٌ في ذلك ما كان حقيقيًا، أو غير حقيقي (كأن يكون للتقرير –كهذا المثال–، أو الإنكار، ونحوها من الأغراض). يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٨٠).

٢ – يركز البحث على فكرة النظم وفق رؤية الشيخ عبد القاهر –رحمه الله–؛ لكون معالم النظم قد تحددت، واتضحت قسماته على يديه؛ وذلك أن النظم قبله لم يكن مقصودًا لذاته، بل كان درسًا عفويًا نابعًا من ملاحظات العلماء في الدرسين البلاغي والإعجازي، بينما صيره الشيخ عبد القاهر عملًا مدروسًا، ومقصودًا لذاته، كما يتميز منهج الشيخ عن سابقيه، باعتماده على التحليل للسياق والتركيب في =

- الأولى: أن فكرة النظم عند الإمام عبد القاهر جاءت لتعبر عن رأي أهل السنة الأشاعرة في جهة الإعجاز في القرآن الكريم، وكونه بالنظم [١].

بيان ذلك: أن السادة الأشاعرة ارتكزوا في نظرتهم إلى النظم اللغوي وحقيقته وموضوعه وجماله، على عقيدتهم في كلام الله تعالى [٢] وفي

=

صورته الجزئية؛ وصولاً إلى الصورة الكلية، مع النقد والتحليل المؤسس على بيان الأسباب، بينما اعتمد السابقون النظرة الكلية للتراكيب، دون العناية بتحليل الجزئيات غالباً، وهذا واضح في المقارنة بين منهجي الباقلاني وعبد القاهر. (مستفاد من دروس فضيلة أ.د/ محمد محمد أبو موسى –حفظه الله–)، ويراجع: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني. مقدماتها– أركانها– قيمتها، د/ خالد ربيع الشافعي (مصر: مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية، يوليو ٢٠٠٦م) (ع٣٧/٣٥٩).

١ – يراجع: إعجاز القرآن، الإمام أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (القاهرة: دار المعارف، الخامسة، ١٩٩٧م) (ص: ٢٦٠)؛ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢هـ) (١/٥٢).

٢ – الكلام النفسي عند السادة الأشاعرة: (صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت)، منزهة عن التقديم والتأخير، وسائر لوازم الكلام اللفظي، من اللحن والإعراب، وسائر أنواع التغيرات، ومنزهة أيضًا عن السكوت النفسي، وعن الآفة الباطنة؛ لأن هذه كلها أوصاف الكلام الحادث، وكلام الله تعالى قديم، والقديم لا يوصف بأوصاف الحوادث، وأما كيفيته فمجهولة لنا، كما لا نحيط بذاته وبجميع حقائق صفاته تعالى. يراجع: شرح الإمام العلامة محمد بن منصور الهدهدي على أم البراهين، المسماة بالصغرى للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، وهو مطبوع بهامش حاشية شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الشرقاوي على شرح الهدهدي (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ط، ١٣٣٨هـ) (ص: ٧٥، ٧٦)؛ وهداية المريد لجوهرة التوحيد، الإمام العلامة برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي (القاهرة:

=

القرآن [١]، مخالفين بذلك طريقة المعتزلة في مسألة الكلام [٢]، وقد تجلت آثار هذه الرؤية في صياغة الإمام عبد القاهر –رحمه الله– لفكرة النظم، ويمكن تلخيص أهم مظاهر ذلك على النحو الآتي [٣]:

– أولًا: القول بالتآزر التام بين اللفظ والمعنى؛ خروجًا من دائرة القول بثنائية اللفظ والمعنى والخلاف حول أفضليتهما [٤]، وقد خلص –رحمه الله– إلى إنكار ثنائية اللفظ والمعنى، وأن هناك تآزراً تاماً بينهما [١].

=

دار البصائر، الأولى، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م) (٣٨٨/١)؛ والقول السديد في علم التوحيد، فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبو دقيقة (طبعة مخصصة لطلبة كلية أصول الدين، بدون بيانات أو تواريخ، بتحقيق وتعليق: أ.د عوض الله حجازي) (٤٩/٢).

١ – وفق ما سبق يرى السادة الأشاعرة أن القرآن الكريم من جهة كونه المعنى القائم بذات الله تعالى (المدلول) قديمٌ، ومن جهة الحروف والألفاظ (الدال) محدثٌ؛ لأن الحروف والألفاظ إنما هي عباراتٌ عن الكلام القديم، والعبارة غير المعبَّر عنه، وأن التحدي وقع بالدال على القديم، وهو الألفاظ. يراجع: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م) (٧/٤)؛ وشرح الهدهدي على أم البراهين، بهامش حاشية الشرقاوي على الهدهدي (ص: ى٧٦، ٧٧).

٢ – ذهب المعتزلة إلى أن كلامه تعالى هو الحروف والأصوات، وهي حادثة، وغير قائمة بذاته، فمعنى كونه تعالى متكلمًا عندهم: أنه خالق الكلام في بعض الأجسام، لا أنه قائم به الكلام. يراجع: هداية المريد لجوهرة التوحيد (٣٨٩/١).

٣ – يراجع: نظرية النظم بين المعتزلة والأشاعرة، أ.د/ أحمد أبو زيد (المغرب: بحوث ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس المغرب، ١٩٨٨م) (ص: ٣٤٦، ٣٤٧).

٤ – نتج الخلاف حول اللفظ والمعنى عن الجدل حول قدم القرآن الكريم وحدوثه، ويعود الخلاف إلى ما كان من صراع بين العرب والأعاجم في الدولة الإسلامية، حيث =

- ثانيًا: بناءً على ما تقرر من التآزر والترابط بينهما؛ ذهب إلى القول بتبعية الألفاظ للمعاني في النظم، فالألفاظ – عنده– خدم للمعاني وتابعة لها، ولا يعني هذا تفضيلَ المعاني على الألفاظ، وإنما المقصد تأكيد الترابط بينهما؛ بحيث لا يكون الفضل لأولهما، بل لهما معاً من خلال النظم والتأليف [٢].
- ثالثًا: ليس للألفاظ المفردة ومعانيها باعتبار إفرادها في البلاغة والفصاحة والإعجاز مزية، بل المعول عليه في تقرير مزيتها هو النظم والأسلوب والصياغة، وعلة ذلك أن أقصى ما يمكن أن تمتاز به مفردة على أخرى قبل أن يجمعها النظم ينحصر في كونها مألوفة الاستعمال أو غير مألوفة، أو أن تكون أخف أو أثقل [٣].

=

رأى الأعاجم تعظيم المعنى، بينما اتجه العرب إلى تعظيم اللفظ، ولعل للأمر صلة بالحركة الشعوبية ومجمل العلاقة بين العرب والعجم في تلك الأزمنة، وارتبط بهذا الخلاف الجدال الذي قام حول وجه إعجاز القرآن الكريم في القرن الرابع الهجري؛ بمقابلته بين بلاغة العبارة وبلاغة النظم. يراجع: مناهج بلاغية، أ.د/ أحمد مطلوب، (الكويت: وكالة المطبوعات، د.ط.ت) (ص: ١٦٧)؛ ونظرية النظم: تاريخ وتطور، د. حاتم صالح الضامن (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، أيلول، ١٩٧٩م) (ص: ٤)؛ ونظرية عبد القاهر في النظم، د. درويش الجندي (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، د.ط، ١٩٦٠م) (ص: ٢٧).

١ – يراجع: دلائل الإعجاز (ص:٣٤١).

٢ – يراجع: المرجع السابق (ص: ٤٢).

٣ – يراجع: أسرار البلاغة (ص: ١٥)؛ ودلائل الإعجاز (ص:٤٠، ٢٤٩، ٣٥٣).

- رابعًا: ليس لترتيب الحركات والسكنات، ولا للمقاطع والفواصل، ولا لخفة الحروف مزية في تفضيل الكلام أو تقرير فصاحته وبلاغته وإعجازه بمعزل عن النظم، بل لا بد أن تكون في إطاره [١].
- خامسًا: لأساليب البيان من الاستعارة [٢] والكناية [٣] والتشبيه [٤] وغيرها دورٌ في حسن الإبانة وجمال التعبير، لكن قيمتها في نظره تعود إلى ما تؤديه من إثبات للمعاني في إطار النظم؛ خلافًا للمعتزلة [٥].
- سادسًا: للبديع وصوره قيمةٌ في تحسين الكلام، غير أن ذلك لا يكون مناط الإعجاز أو الفصاحة والبلاغة إلا بوقوعه في إطار النظم [٦].

وبناءً على هذه الرؤية الأشعرية؛ ذهب الشيخ عبد القاهر إلى أن جهة الإعجاز في القرآن الكريم هي (النظم)، وليس النظم في رأيه نظمًا

---

١ – يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٢٤٩).

٢ – هي: استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع (قرينة) صارفة عن إرادة المعنى الأصلي (والاستعارة) ليست إلا (تشبيهاً) مختصراً، لكنها أبلغ منه. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد بن إبراهيم الهاشمي (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط.ت) (ص: ٢٥٨).

٣ – هي: ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور على المتروك. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر السكاكي (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) (ص: ٤٠٢).

٤ – هو: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى. يراجع: الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، عصام الدين إبراهيم بن محمد ابن عربشاه الحنفي (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.ت) (١/ ٧٣).

٥ – يراجع: المرجع السابق (ص: ٧٢، ٣٠٤، ٣٠٥).

٦ – يراجع: المرجع السابق (ص: ٣٤١).

للألفاظ، من حيث هي ألفاظ وأصوات، وإنما هو نظم للمعاني [١]؛ خلافًا لرؤية المعتزلة لفكرة النظم [٢]، ويفهم من هذا أن صياغة النظم وصناعته ترتبطان أساسًا بالحالة النفسية والوجدانية للمتكلم؛ ومن هنا تتضح أصالة البعد النفسي في فكرة النظم [٣].

---

١ – يراجع: نظرية النظم بين المعتزلة والأشاعرة (ص: ٣٤٥، ٣٤٦).

٢ – يمكن تلخيص أسس فكرة النظم لدى المعتزلة في النقاط الآتية:

– أولًا: وفق رأيهم في كلام الله تعالى؛ صرفوا عنايتهم إلى ألفاظ القرآن الكريم وجماليات الصياغة اللفظية، وإلى كل ما له صلة بالأصوات والصورة السمعية للكلام، وبناءً على ذلك اهتموا بتخير الألفاظ، ورونق الكلام وعذوبته وخفته على اللسان، وحسن وقعه في الأسماع.

– ثانيًا: بناءً على ما سبق قرروا أن للألفاظ المفردة قيمة ثانية في الفصاحة، وأن الناظم يتخير من الألفاظ والكلمات الدالة على المعنى الواحد (الألفاظ المتقاربة) ما كان أخفها وأحسنها وقعاً وأوضحها دلالةً، وأكثرها انسجاماً مع ما يجاورها، وأن المهارة في نظم الكلام تتمثل في حسن تخير الألفاظ وانتقاء الكلمات.

– ثالثًا: يرون أن للصورة السمعية للكلام قيمة كبيرة في جمال النظم، كما أن لفنون البديع قيمًا جمالية لفظية تزيد في جمال النظم وترفع مرتبته، وأن الكناية والاستعارة والإيجاز وغيرها من أساليب البيان لها قيمة في النظم ترجع إلى براعة الناظم في حسن التصرف في اللغة والابتكار في استعمال الألفاظ والتراكيب.

– رابعًا: ذهبوا إلى أن المعاني لا تتزايد ولا يقع فيها التفاوت ولا التفاضل، وإنما يقع التزايد بالألفاظ. ينظر: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني. مقدماتها– أركانها– قيمتها (ع٣٧/٣٥١)؛ ونظرية النظم بين المعتزلة والأشاعرة (ص: ٣٤٥، ٣٤٦).

٣ – يراجع: علاقة الكلام بالمتكلم في الدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ابتسام حمدان (دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٨٤، الجزء ٤، أكتوبر ٢٠٠٩م) (ص: ١٠٩٦).

– الثانية: أن القول بفكرة النظم جاء في مقابل القول بالصرفة [١]، وهذا يعني أن المقصد الأساس للفكرة هو إثبات تفوق الأسلوب القرآني على الأساليب البشرية، وتميزه بصنوف البيان والبديع[٢]، ولا يمكن أن يتحقق هذا الغرض دون رعاية للبعد النفسي، وإلا كان النظم مجافيًا لمفهوم البلاغة.

بيان ذلك: أن كل أسلوب يلقي بظلال نفسية على سامعه وقارئه؛ وهذا أحد أسباب تنوع الأساليب من جهة المتكلم، حسب الغرض والمقام، وهو أيضًا أحد معايير تمايزها وتفاضلها؛ من جهة كون بعضها أبلغ في أداء المعنى المراد، وأنسب بالمقام والسياق.

---

١ – يتلخص مفهوم الصرفة عند من نسبت إليه في: أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقاً للعادة، ونُسب هذا القول إلى إبراهيم بن سيّار النظام شيخ المعتزلة، ونسب إلى الشريف المرتضى تفسير آخر لمفهومها، وهو: أن الله سلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن القول بالصرفة يعتبر اعترافاً في الجملة بصحة إعجاز القرآن، لكنه لا يمكن أن يصدر إلا عن أعجمي أو شبهه، ممن لم يذق للبلاغة طعماً، ولذلك لم يتابع النّظام على القول به تلميذه الجاحظ ولا أحد من علماء العربية، وهو يعد خلاف ما عرفه العرب من أنفسهم. يراجع: إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٢٤)؛ وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (بيروت: دار الكتاب العربي، الثامنة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م) (ص: ١٠١)؛ والنبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن، أ.د/ محمد عبد الله دراز (الدوحة: دار الثقافة، د.ط، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م) (ص: ٨٦).

٢ – يراجع: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أ.د / أحمد محمد الخراط (المدينة المنورة: أبحاث ندوة عناية الملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ) (ص:٣٣).

فأسلوب التقديم والتأخير (مثلًا) في جملتي: (الحمد لله)، و(لله الحمد) يلقي كل منهما بظلال معنوية على سامع التعبيرين ومتلقيه؛ حيث تفيد الأولى إثبات الحمد لله من غير اختصاص، بينما تفيد الثانية الإثبات والاختصاص والتوكيد، ولكل منهما مقامه، وغرضه المناسب، كما هو الحال في مطلع سورة الفاتحة﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٣٦] ، وفي ختام سورة الجاثية﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الجاثية: ٣٦]؛ فالأولى لم تسبق بما يستدعي إفادة الاختصاص أو التوكيد؛ لكونها ابتدائية، بينما جاءت الثانية عقيب ذكر قدرة الله وآياته ونعمه ومظاهر قدرته؛ فناسب ذلك إفادة الاختصاص والتوكيد؛ لكون ما سبقها من موجبات الحمد لله تعالى [1].

وعلى هذا يمكن القول: إن النظم بأساليبه يمثل (المقال)، بينما كل من النفس والسلوك يمثلان (المقام).

- الوجه الثاني: أن البعد النفسي والسلوكي أحد مكونات فكرة النظم؛ حيث لا بد من شخوص هذا البعد في قصد المتكلم (الناظم) وغرضه.

وهذا ما يُفهم من قول الشيخ عبد القاهر: " وجملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء، حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة، إن لم يقدم فيه ما قدم، ولم يؤخر ما أخر، وبدئ بالذي ثني به، أو ثني بالذي ثلث به، لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصفة، وإذا كان كذلك، فينبغي أن تنظر إلى

١ – يراجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ)، (٤/ ٢٩٤).

الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصنعة" [١]؛ فالارتباط وثيق بين النظم والجانب العقلي والنفسي للمتكلم.

ومما يؤكد أن للجانب النفسي وجودًا في بدايات النظم وتكوينه ما يُلاحظ من تأثير الحالة النفسية للقائل والمتكلم في النظم، وما يترتب عليه لدى المستمع والمتلقي؛ فلا يمكن التسوية (مثلًا) بين قولٍ صادق وكاذب، أو بين شاعر ونبي؛ والسبب كما بين الإمام فخر الدين الرازي –رحمه الله–: أن قوة نفس القائل تعين على نفاذ الكلام في الروح، والقائل في نظم القرآن هو الله تعالى، بواسطة سيدنا جبريل ﷺ بتبليغ الرسول المعصوم ﷺ [٢].

ويؤصل لهذا الوجه أيضًا ما أدركه البلاغيون وقرروه من أن البلاغة ليست" ... إفهام المعنى؛ لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيي؛ ولا البلاغة أيضاً بتحقيق اللفظ على المعنى؛ لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب، في أحسن صورة من اللفظ" [٣].

فحصره حد البلاغة في "إيصال المعنى إلى القلب، في أحسن صورة من اللفظ" يفهم منه أساسية البعد النفسي والسلوكي في صناعة النظم.

– الوجه الثالث: أن حقيقة النظم ومفهومه – لدى أصحابه – يقتضيان رعاية الجانب النفسي في كافة جوانب النظم، وإلا كان نظمًا غير حقيقي، وغير مستوفٍ لشروطه.

---

١ – دلائل الإعجاز (ص: ٣٦٤)، ويراجع: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث (ص: ٣٦).

٢ – يراجع: مفاتيح الغيب (٢٦/ ٤٤٧).

٣ – النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني (القاهرة: دار المعارف، الثالثة، ١٩٧٦م) (ص: ٧٥، ٧٦).

بيان ذلك: أن كون النظم (توخيًا أو قصدًا لمعاني النحو) [١] يقتضي أن يضع المتكلم كل كلمة في المكان الذي يتطلبها، والسياق الذي يقتضيها، ولا يتأتى هذا العمل إلا عن طريق ترتيب المعاني في النفس أولاً، ثم ترتيب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس [٢].

فالنظم إذن هو نظم للمعاني النحوية في نفس المتكلّم أولاً، وليس مجرد بناء كلمات في صورة جملة أو جمل، كما أنه لا يتضح المراد بمعاني النحو في إعراب الكلمات وبنائها، ولا في تفسير الألفاظ ومعانيها، فيُطلق على هذه الكلمة أنها (مبتدأ)، وعلى الأخرى (خبر)، أو أن هذه (فعل) وتلك (فاعل)، وإنما تتضح معاني النحو باتحاد أجزاء الكلام، ودخول بعضها في بعض، وارتباط الثاني بالأول، كما تتضح في الوحدة الشاملة بين أجزاء الجملة، وبين الجملة والجملة، في مجموعة من العلاقات المنظمة المتناسقة بين أطراف الكلام [٣].

ويتأكد هذا الفهم بما ذكره الشيخ عبد القاهر في التفرقة بين نظم الحروف ونظم الكلم، من قوله: " ... وأما "نظم الكلم" فليس الأمر فيه

---

١ – يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٢٨٨).

٢ – يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٢٨٨)؛ وأسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (بيروت: ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م) (ص: ١٤)؛ والبلاغة العربية المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، أ.د/ فضل حسن عباس،(عمّان: دار الفرقان، الثانية، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م) (ص: ١٤١).

٣ – يراجع: اللغة العربية معناها ومبناها، أ.د تمام حسان عمر (بيروت: دار عالم الكتب، الخامسة، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م) (ص: ١٨٧)؛ وعبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم، أ.د/ عبد القادر حسين، (بيروت: مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، مجلد ٨، العدد ٤٦، ١٩٨٧م) (ص:١٤٩).

كذلك، لأنك تتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو "النظم" الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق. ولذلك كان عندهم نظيرا للنسخ والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كل حيث وضع، علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح" [١].

ويستخلص مما سبق أن الكلام لا يصح أن يسمى نظمًا حتى يُراعَي فيه البعد النفسي من كافة جهاته؛ بدءًا من دلالة اللفظ في ذاته على المعنى النفسي، مرورًا بموقع اللفظ من النفس، وما ينتج عنه من صور ذهنية، وموقع تلك الصور من النفوس، واتساق تلك الجهات مع الواقع.

ويؤكد ما سبق أيضًا قولُ حازم القرطاجني –رحمه الله– : " ... يكون النظر في صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدال على الصورة الذهنية في نفسه، ومن جهة ما يكون عليه بالنسبة إلى موقعه من النفوس، من جهة هيأته ودلالته، ومن جهة ما تكون عليه الصور الذهنية في أنفسها، ومن جهة مواقعها من النفوس، من جهة هيآتها ودلالاتها على ما خارج الذهن، ومن جهة ما تكون عليه في أنفسها الأشياء التي تلك المعاني الذهنية صورٌ لها، وأمثلة دالة عليها، ومن جهة مواقع تلك الأشياء من النفوس " [٢].

---

١ – دلائل الإعجاز (ص: ٤٢)، ويراجع: النظم القرآني وأثره على مقاصد التنزيل الحكيم، د. رجاء محمد عودة (الرياض: مجلة جامعة الملك سعود، المجلد ١١، العدد ١، ١٩٩٩م) (ص:٣٢).

٢ – منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن القرطاجني (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الثالثة، ١٩٨٦م) (ص: ١٧).

– الوجه الرابع: أن للبعد النفسي والسلوكي حضورًا في مقاصد فكرة النظم؛ من خلال ما يعرف بالمعاني الزائدة على أصل المعنى، والتي لا تتولد إلا في إطار النظم.

بيان ذلك: أن الكلام على ضربين: ضرب يصل منه المتكلم إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وهذا يعرف بـ (المعاني الأُوَل)، وهي تلك المعاني الظاهرة المفهومة من أنفُس الألفاظ؛ كالمراد بالجناح في قوله تعالى:﴿ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ ﴾ [الأنعام: ٣٨] . وضرب لا يصل منه المتكلم إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم يوجد لذلك المعنى دلالة ثانية، يصل بها المتكلم إلى الغرض، ويسمى هذا الضرب بـ(المعاني الثواني) أو (معنى المعنى)؛ كالمراد بالجناح في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨]، ويختص هذا الضرب بالجانب النفسي للكلام؛ لابتنائه على أساليب المجاز كالكناية، والاستعارة، والتمثيل [١]، وهذا الضرب الثاني هو محور بلاغة الكلام [٢].

١ – يراد بالتمثيل في كلام الإمام عبد القاهر: الاستعارة التمثيلية، وهي: تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة منتزعة من متعدد. المرجع السابق (ص: ٢٧٥)، والفرق بين التمثيل والتشبيه: أن التشبيه إنما يكون في المظهر الأداة، والتمثيل نوع من الاستعارة، ومعدود من أنواع المجاز. يراجع: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ (بيروت: المكتبة العصرية، الأولى، ١٤٢٣هـ) (١٩٢/٣).

٢ – يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ١٧٣–١٧٦).

والخلاصة أن المعاني الثواني هي معانٍ أدبية مجازية غير مباشرة، مستفادة من المعاني اللغوية (المباشرة)، وكل منهما يمثل مستوىً من مستويات الكلام.

ومن الجدير بالذكر أن تلك المعاني الثواني لا تتحقق إلا في إطار فكرة النظم؛ فلا يتولد عن الكلمة معان أخرى إلا في إطار الجملة، حيث تؤدي دورها ووظيفتها؛ فالسياق العام للجملة (النظم) هو الذي يلقي بتلك الظلال والمعاني المتعددة، التي تتولد عن المعنى اللغوي الأصلي الذي منه تتكون الجملة [١].

ومما يؤكد أن لهذه المعاني الثواني بُعدًا سلوكيًا أن أساليبها من (الكناية – الاستعارة– التمثيل) لا تقتصر على الهدف الجمالي، والقصد التشخيصي للمعاني، ولكنها أيضًا ذات قيمة عاطفية (تأثيرية)، ووصفية، ومعرفية [٢].

– الوجه الخامس: أن للنظم القرآني تأثيرًا في نفوس سامعيه وقلوبهم؛ وهذا من شأنه أن يؤكد أصالة البعد النفسي في النظم؛ فليس لكلام غير القرآن ما للقرآن من تأثير في النفوس بالصورة التي للقرآن؛ يشهد لذلك واقع الدعوة في زمن النبوة؛ فكم من عدو تغيرت حاله بعد سماع القرآن الكريم، وتأثره به [٣].

---

١ – يراجع: معنى المعنى بين عبد القاهر وحازم القرطاجني، د. محمود درابسة (سوريا: مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مجلد ١٩، عدد ١٢، ١٩٩٧م، صفحات ١١١–١٣٢) (ص: ١١٧).

٢ – يراجع: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الثالثة، ١٩٩٢م) (ص: ٨٤).

٣ – يراجع: البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٩١هـ) (٢/ ١٠٧).

ويعبر عن هذا الوجه الإمام الخطابي – رحمه الله– بقوله: " قلت: في إعجاز القرآن وجهٌ آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس؛ فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن، منظومًا ولا منثورًا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها؛ فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيمانًا" [١].

ومما يقوي هذا الطرح ما تقرر من أن في النفس قوتين: قوة تفكير وقوة وجدان، وحاجة كل منهما غير حاجة الأخرى؛ فالأولى تنقب عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به، والأخرى تسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، وقد لا يوجد بليغٌ يفي بحاجة القوتين في عبارة واحدة، لكن ذلك موجود في القرآن الحكيم في أجمل صورة وأوضح بيان [٢].

---

١ – بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي المعروف بالخطابي (القاهرة: دار المعارف، الثالثة، ١٩٧٦م) (ص: ٧٠).

٢ – يراجع: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، أ.د عبد العظيم إبراهيم المطعني (القاهرة: مكتبة وهبة، الأولى، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م) (١ / ١٦٤)؛ والنبأ العظيم (ص: ١٠٨)؛ والصورة الأدبية في القرآن الكريم، أ.د صلاح الدين عبد التواب (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، الأولى، ١٩٩٥م) (ص: ١٨٠).

كل ما سبق يفهم منه بالدرجة الأولى موقع البعد النفسي من فكرة النظم، فأين إذن موقع البعد السلوكي من الفكرة؟

والجواب: أن الارتباط بين جانبي النفس والسلوك دائم؛ فأولهما سبب والثاني مسبب، وقد أدرك هذه الحقيقة العلماء الأوائل، سابقين بذلك النظريات الحديثة في علم النفس.

يشير إلى هذه الحقيقة قول الشيخ عبد القاهر– رحمه الله – في سياق التفرقة بين مفهومي نظم الحروف ونظم الكلم، وتأكيد القول بتآزر اللفظ والمعنى: " ... ودليل آخر، وهو أنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه، دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حذوها؛ لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه، لأنهما يحسّان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدًا، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر " [١].

وقد أكد اللغويون تأثير النظم في سلوك الإنسان، وقرروا أن المتكلم عن طريق إيثار صيغة لغوية معينة يمكنه أن يحث سامعه على الاستجابة لموقف، هذا الموقف وتلك الاستجابة هي المعنى اللغوي للصيغة اللغوية المستخدمة، ويعرف هذا عندهم بالنظرية السلوكية [٢].

إذن للبعد النفسي في النظم ارتباط بسلوك المخاطبين به؛ بدلالة ما يقع بينهم من اختلاف في الفائدة، ومن ثمّ ما ينبني عليها من سلوكيات مختلفة أيضًا.

---

١ – دلائل الإعجاز (ص: ٤٣).

٢– يراجع: علم الدلالة، أ.د أحمد مختار عمر (القاهرة: عالم الكتب، الخامسة، ١٩٩٨م) (ص: ٥٢).

وختامًا لهذا المطلب أشير إلى ملمح يتعلق بأسلوب القرآن الكريم ونهج النظم القرآني في بيان الأحكام، حيث لم يسلك طريقة الكتب المؤلفة، في ذكر الأحكام المتعلقة بشيء واحد في مكان واحد، وإنما فرق آيات الأحكام تفريقًا [١].

ولا يعد هذا المسلك إلا صورةً جليةً من صور رعاية البعد النفسي في النظم القرآني؛ حيث لوكان غرض النظم مجرد إيصال المعنى المراد للمخاطب مع حسن البيان؛ لاكتُفي بحصول ذلك كله جملةً واحدةً في موضع واحد، كعادة الكتب الأخرى؛ مما يدل على أن في تفريقه مقصدًا آخر، هو مراعاة للبعد النفسي، وما يرتبط بذلك البعد من سلوك للمتلقي.

ويلخص الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت –رحمه الله– مزايا هذه الطريقة وفوائدها، فيقول: " ولهذه الطريقة –فيما نرى– إيحاء خاص، وهو أن جميع ما في القرآن –وإن اختلفت أماكنه وتعددت سوره وأحكامه– فهو وحدة عامة، لا يصح تفريقه في العمل، ولا الأخذ ببعضه دون بعض، وكأنه وقد سلك هذا المسلك يقول للمكلف – وهو يحدثه عن شؤون الأسرة وأحكامها مثلًا–: لا تلهك أسرتك وشؤونها عن مراقبة الله فيما يجب له من صلاة وخشوع، ولا ريب أن لمثل هذا الإيحاء تأثيرًا على المراقبة العامة، وعدم الانشغال بشأن عن شأن، فيكون للروح تهذيبها، وللنفس صلاحها، وللعقل إدراكه، وللمجتمع صلاحه" [٢].

وهكذا يظهر أن لكل من البعد النفسي والسلوكي موقعًا من فكرة النظم؛ بدايةً من علة القول بها، مرورًا بتكونها وتبلور حقيقتها، ووصولًا إلى

---

١ – يراجع: الإسلام عقيدة وشريعة، الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت (القاهرة: دار الشروق، الثامنة عشرة، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م) (ص: ٤٨٦، ٤٨٧).

٢ – الإسلام عقيدة وشريعة (ص:٤٨٧، ٤٨٨).

ثمارها ومقاصدها، وبالتالي فالعلاقة بين الطرفين علاقة ارتباط ولزوم، بقي بيان موقع البعدين النفسي والسلوكي من التفسير، وهذا ما يعالجه المطلب الثاني.

المطلب الثاني: موقع البُعد النفسي والسلوكي من التفسير:

من الجدير قبل الخوض في بيان موقع البعد النفسي والسلوكي من التفسير الإشارة إلى أن ما سبق في المطلب الأول من وجوه علاقة البعد النفسي والسلوكي بالنظم، لا ينفك عن غرض هذا المطلب؛ وذلك لما بين النظم والتفسير من علاقة وثيقة؛ أدناها أن التفسير مبنيٌ على النظم ومترتبٌ عليه، وأثر من آثاره.

يشهد لهذا واقع كتب التفسير على مر العصور؛ ومن أمثلة ذلك قول الإمام الطبري – رحمه الله– لبيان علة ترجيحه كون قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ جملة اعتراضية متضمنة أمراً من الله تعالى لرسوله، وأن سائر الكلام للطائفة المذكورة من أهل الكتاب أثناء تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]: " وإنما اخترنا ذلك من سائر الأقوال التي ذكرناها، لأنه أصحها معنًى، وأحسنُها استقامةً، على معنى كلام العرب، وأشدُّها اتساقًا على نظم الكلام وسياقه ..." [١].

وأما عن موقع البعد النفسي والسلوكي من التفسير، فيمكن تلخيص ذلك من خلال الوجوه الآتية:

– الوجه الأول: أن حقيقة علم التفسير ومفهومه تشير إلى البعد النفسي والسلوكي، بل وتتضمنه.

١ – جامع البيان في تأويل القرآن (٥١٥/٦).

فتعريف التفسير بأنه: "علمٌ يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك " [1] يؤكد هذا المعنى؛ حيث من بين مدلولات ألفاظ القرآن الكريم والمعاني التي تحمل عليها حالة التركيب المعاني النفسية وما ينتج عنها من سلوك.

ومما يؤكد حضور البعدين في مفهوم التفسير ما يُلاحظ من أن لبعض الألفاظ المخصوصة دلالات نفسية خاصة؛ كبعض الألفاظ الغريبة، وتلك المشتملة على ظواهر صوتية تؤثر في دلالتها، في إطار النظم.

من أمثلة ذلك: إيثار النظم القرآني استعمال كلمة: (ضِيزَى) في وصف القسمة الجائزة غير العادلة في قوله تعالى:﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ [النجم :٢٢]؛ لما لهذه الكلمة، بحروفها وصيغتها من إيحاءات تلائم التشنيع على القسمة الجائرة [2].

يقول العلامة ابن عاشور: "وهذا وسم لهم بالجور زيادة على الكفر لأن التفكير في الجور كفعله فإن تخيلات الإنسان ومعتقداته عنوان على أفكاره وتصرفاته" [3].

---

١ – البحر المحيط في التفسير، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠ هـ) (٢٦/١).

٢ – يراجع: البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (دمشق–بيروت: دار القلم– الدار الشامية، الأولى، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م) (١/ ٣١).

٣ – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (تونس: التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م) (١٠٧/٢٧).

كما يشير تعريف التفسير بأنه: " اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"[١] إلى المعاني النفسية والسلوكية؛ حيث تتدرج تحت مفهوم: معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها.

- الوجه الثاني: أن البُعد النفسي والسلوكي يندرج ضمن الدلالة النفسية للألفاظ، وهي أحد مستويات الدلالة بمفهومها الشامل؛ حيث تعتبر من المعاني الإضافية للفظ؛ وبهذا تدخل في نطاق المعاني الثواني أو معنى المعنى.

ومن الجدير بالذكر هنا أن لمعنى المعنى (ومن بينه تلك الجوانب النفسية والسلوكية) دورًا في قياس مستوى بلاغة الكلام وبراعته؛ بما يمثله من تطبيق واقع لمفاهيم مؤثرة، كالإيجاز، والإيحاء ونحوها [٢]؛ فـ"المتكلم يتوصّل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد، لو أنه أراد الدّلالة عليها باللّفظ لاحتاج إلى لفظ كثير"[٣].

ولا خلاف في: أن بيان تلك المعاني الثانوية من وظائف التفسير، بل هو معيار تقاس به جودة الصنعة التفسيرية.

وقد أدرك المفسرون والمصنفون في علوم القرآن هذه المعاني؛ يشهد لهذا قول الإمام الزركشي – رحمه الله –: "اعلم أن العرب تعد الكناية من البراعة والبلاغة، وهي عندهم أبلغ من التصريح" [٤]، ومعلوم أن الكناية واحدة من الأساليب التي يتوصل بها إلى تأدية المعاني الثواني.

١- المرجع السابق (١١/١).

٢- يراجع: التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود (تونس: منشورات الجامعة التونسية، الأولى، ١٩٨١م) (ص: ٤١٤، ٤١٥).

٣- دلائل الإعجاز (ص: ٢٩٤).

٤- البرهان في علوم القرآن (٣٠٠/٢).

وقد يُعترض على ما سبق بأن المعنى النفسي يعتبر لونًا من ألوان الدلالة الخاصة للألفاظ، عند أفراد مخصوصين؛ بدليل تفاوت الأفراد في إدراكه، واختلاف المعنى النفسي المثار عندهم بسبب اللفظ ذاته، وهو ما يعرف عند اللغويين وعلماء النفس بالتمايز الدلالي [١].

ويُجاب بالآتي:

- أولًا: أن هذا التمايز الدلالي في حد ذاته يؤكد أصالة البعد النفسي في كلٍ من النظم والتفسير، وهو في الوقت ذاته أحد أدلة براعة القرآن الكريم وتفرد طريقته وأساليبه، فضلًا عن إمكانية الإفادة منه وتوظيفه في درس إعجاز النظم.
- ثانيًا: أن هذه المعاني الثواني (ومن بينها البعد النفسي) توجد بالفعل في أساليب متنوعة يكثر استعمالها في النظم، أشهرها: الكناية، والاستعارة والتمثيل، وأن بلاغة هذه الأساليب (على طريقة أهل السنة الأشاعرة) تكمن في معانيها، وليس في ألفاظها، وهي أيضًا مناط بلاغتها [٢].

والنماذج القرآنية الموضحة لأثر البعد النفسي في تلك الأساليب كثيرة؛ أدناها ما يُلاحظ في السياقات المتعلقة بما يستقبح ذكره، أو يستهجن التصريح به، من إيثار التعبير عنها بواحد من الطرق السابقة.

فاستعمال أسلوب الكناية في قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ [المائدة :٧٥]، في شأن سيدنا عيسى وأمه –عليهما السلام – أبلغ في التعبير عن المعنى المراد (إثبات الاحتياج؛ ومن ثمّ نفي الإلهية المزعومة)، إضافةً إلى ما في التعبير من التلطف والتأدب [٣].

١- يراجع: علم الدلالة (ص: ٤٢، ٤٣).

٢- يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٢٨١، ٢٧٥).

٣- يراجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٦٦٥/١)؛ وزهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط.ت) (٢٣١٢/٥).

وليس بعيدًا عن المثال السابق استعمال أسلوب الاستعارة في قوله تعالى:﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [الإسراء : ٢٤]؛ إذ هي أبلغ في التعبير عن مقصود الآية، من المبالغة في التذلل والتواضع للوالدين؛ من فرط الرحمة لهما والعطف عليهما، من أن يقال عوض هذه المقالة: تواضع لوالديك، فضلًا عن كون الأخير خاليًا عن ديباج البلاغة وعاريًا عن ثوبها(١).

ولا شك أن لمثل هذا النمط من الأساليب تأثيرًا إيجابيًا على المفسر والمتلقي، فضلًا عن كونها واحدةً من مضامين علم التفسير ومقاصد درسه.

يشهد لذلك التأثير قول الإمام القشيري – رحمه الله – تفسيرًا للجملة من الآية: " ... اخفض لهما جناح الذّلّ بحسن المداراة ولين المنطق، والبدار إلى الخدمة، وسرعة الإجابة، وترك البرم بمطالبهما، والصبر على أمرهما، وألا تدّخر عنهما ميسورا " (٢).

وهكذا يتضح أن الصورة البيانية تسهم من جهة في صياغة البعد النفسي المضمن في النص، كما أنها تدعم من جهة أخرى إفهام المخاطب مضمون ذلك البعد النفسي، فضلًا عما تضفيه من وجوه الحُسن والبراعة.

ومما يسلط الضوء أكثر على موقع البعد السلوكي من هذه المعاني الثانوية، ما يُلاَحظ من تأثيرٍ لمدلولات هذه الأساليب على المتلقي، خاصةً مع ما سبق التأكيد عليه، من اشتراط كونها مرادةً للمتكلم، ودورها في تقييم بلاغة الكلام وبراعته.

١- يراجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٥٨)؛ والمحرر الوجيز (٣/ ٤٤٩)؛ والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/ ٦٨)؛ والإتقان في علوم القرآن (١٤٩/٣، ١٥٠).

٢- لطائف الإشارات (٣٤٤/٢).

يشير إلى ما سبق ما ذكره الإمام عبد القاهر –رحمه الله– في تحقيق القول على «البلاغة» و«الفصاحة»، و «البيان» و «البراعة»؛ حيث يقول: "ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصحّ لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخصّ به، وأكشف عنه وأتمّ له، وأحرى بأن يكسبه نبلًا، ويظهر فيه مزيّة" [١].

وهكذا يؤكد النص السابق أن الصور البيانية والأساليب البلاغية ليست غايةً في حد ذاتها، بل هي وسيلة لتأدية المعنى وبيان المراد من الكلام.

– الوجه الثالث: أن البعد النفسي والسلوكي يعتبر جزءًا من سياق الكلام (المراد تفسيره)؛ فهو بمثابة القرائن الحالية أو المعنوية للكلام؛ وعلى هذا يكون له من التفسير موقع أساس [٢].

ويظهر هذا الوجه بصورة جلية من خلال ما يُلَاحظ من إيثار النظم القرآني ألفاظًا تصور المعنى الأساسي المراد ، ولها في الوقت نفسه دلالة إيحائية، إلى جانب ذلك المعنى الأساسي.

من أمثلة ذلك إيثار استعمال لفظة (زرتم) في قوله – تعالى – : ﴿ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾[التكاثر : ٢]؛ حيث إن للفظة مقابلًا دلاليًا، هو (الرجوع) ؛ إذ كل زائر لاشك ستنتهي زيارته ، فاستعمال الزيارة بهذا المعنى يوحي بأن الإقامة في القبر ليست دائمة، وأن الزيارة سوف تنتهي حتمًا إلى بعث وحساب وجزاء [٣].

١– يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٣٨).

٢– يراجع: البرهان في علوم القرآن (٢/٢٠٠).

٣– يراجع: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط.ت) (٢٢/٢٢٦).

ويلاحظ أن هذا الإيحاء لا يمكن إفادته من لفظ آخر غير هذا اللفظ الذي آثره النظم القرآني واختاره للتعبير عن المعنى [١].

وقريبٌ من ذلك أيضًا إيثار النظم استعمال بعض الأدوات المتقاربة دون غيرها؛ لما يترتب على ذلك من إيحاء بمعنى زائد مقصود.

من ذلك إيثار لفظة (ما) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٥]، فالعلة كما ذكر الإمام الزركشي –رحمه الله– أن "... القسم تعظيم للمقسم به، من حيث ما في خلقها من العظمة والآيات؛ فثبت لهذا القَسَم بالتعظيم كائنا ما كان، وفيه إيحاء إلى قدرته تعالى على إيجاد هذا الأمر العظيم، بخلاف قوله: (مَنْ)؛ لأنه كان يكون للمعنى مقصورا على ذاته دون أفعاله" [٢].

– الوجه الرابع: أن القرآن الكريم يعتمد المنهج الأدبي، في تقرير حقائقه وأحكامه وهداياته؛ مما يجعل إدراك البعدين النفسي والسلوكي (من قبل كل من المفسر والمتلقي) أمرًا ضروريًا وواجبًا.

ومما يؤكد هذا المفهوم ما قرره الإمام عبد القاهر –رحمه الله– من أن (حسن العبارة) لا يعني مجرد اللفظ، وإنما يكون ذلك من خلال صورة وصفة وخصوصية، تُحدث في المعنى وشيًا، طريق معرفته على الجملة العقل، دون السمع [٣].

كما يشهد لهذا الوجه ما يُلاحَظ من اتجاه النظم القرآني إلى إثارة وجدان القارئ إثارة روحيةً رفيعة، تحدث السرور في النفس فتقبل، أو تحدث فيها الألم فتأبى وترفض، والقرآن الكريم غنيٌ بذلك؛ لأنه لا يعتمد

١– يراجع: خصائص التعبير القرآني (١ / ٣٦٧ ، ٣٦٨).

٢– يراجع: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٤٠٠).

٣– يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٣٠٦).

على التفكير وحده ليقنع، ولكنه يعتمد عليه وعلى الوجدان ليستميل، فهو في وعده ووعيده، وأوامره ونواهيه ، وقصصه، وكذلك في أحكامه ووصفه، وابتهاله و تسبيحه لا يغفل هذه الناحية من نواحي النفس الإنسانية، فالقرآن يخاطب جميع جوانب الإنسان العقلية والوجدانية والعاطفية؛ ليجمع بين الإقناع والإمتاع.

ففي قوله – تعالى – :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾ [النساء : ٤٧]، يُلاحَظ اتكاء النظم على إثارة الخوف في النفس، من أن تشوه الوجوه أو تطمس، أو أن تحل اللعنة بأصحابها، كما حلت بأصحاب السبت، وهذا الخوف بما يحدثه في النفس من ألم جدير أن يدفع الناس إلى التفكير العميق للتخلص من أسبابه والخلوص من مأزقه، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بما أنزل الله [١].

– الوجه الخامس: أن هناك جانبًا نفسيًا في كل أسلوب لغوي؛ باعتبار أن الأسلوب اللغوي يمثل في منظور الدراسات النفسية (المنبه) أو (المثير)؛ وبالتالي لا بد من حصول استجابة لهذا (المنبه) [٢]؛ ويكون ذلك أولًا من خلال المفسر، ومن ثمّ المتلقي بصورة عامة.

ومن الظواهر القرآنية المؤكدة لهذا الوجه ما يعرف بـ (ظاهرة زيادة بعض

١ – يراجع: من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوى (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة، الرابعة، ٢٠٠٧م) (ص: ٣٦).

٢ – يراجع: السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام: دراسة لغوية تحليلية نفسية، د. علي محمد نور المدني (جدة: مجلة جامعة الملك عبد العزيز – الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد ١٧، عدد١، ٢٠٠٩م) (ص: ٤٣١).

الحروف أو الكلمات) [١]؛ فمثلًا: لزيادة (ما) في قول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٩] ، وفي قوله تعالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم

١ – تنازع الناس تجاه هذه الظاهرة، وانقسموا بين مانع لها ومجيز. فالمجيزون يرون أن للزيادة في القرآن الكريم وجودًا لا يمكن إنكاره، ويبنون رأيهم على كون القرآن الكريم جاريًا على سنن العرب وطرائقهم في التعبير، ومن بينها الزيادة في الكلام، كما يستندون في قولهم إلى واقع القرآن الكريم؛ حيث إن فيه آيات تشهد بوجود الزيادة من جهتي الإعراب والمعنى؛ نحو قوله تعالى:﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾[فاطر : ٣]؛ فلفظ (خالق) مبتدأ، وحق إعرابه الأصلي الرفع بالضمة، لكن زيادة (من) قبله منع ظهور الضمة، وجاء بالكسرة مكانها؛ وهكذا يكون اللفظ مجرورًا لفظًا مرفوعًا محلًا وموقعًا؛ ويشهد لذلك وصفه بلفظ (غير) مرفوعًا، ولو كانت (من) أصلية لكان لفظ (خالق) ملازمًا للجر لفظًا وموقعًا، ولجاء لفظ (غير) تابعًا له في الجر، ولم يجز فيه الرفع بحال. ويرى المانعون استنكار وجود زائد في القرآن الكريم؛ ومبعث استنكارهم من ثلاث جهات؛ هي: – العاطفة الدينية الشريفة؛ حيث يتنافى وصف بعض كلمات القرآن الكريم بالزيادة مع قداسة الكتاب العزيز وإحكام آياته. – أن ما يتبادر إلى الذهن من مفهوم الزيادة عند إطلاقها هو كون اللفظ الموصوف بذلك لغوًا أو حشوًا في الكلام، وهذا مما يتنافى مع بلاغة القرآن الكريم وإعجازه. – أن القول بوجود زيادة في القرآن الكريم قد يفتح بابًا للافتراءات الباطلة وأصحابها من أهل الأهواء. وتوسط آخرون (وهو الاتجاه الأولى) فرأوا الجمع بين القولين، وذلك من خلال الاتفاق على أن الزيادة تقع، وتكون لغرض التأكيد أو شبه التأكيد، وأن الزائد ليس من قبيل المهمل، أو على نية الإسقاط؛ وبهذا لا يكون وقوعها في القرآن الكريم أو في غيره من الكلام الفصيح ماسًا بقدسية الكتاب العزيز، ولا مخلاً بالفصاحة، بل تكون الزيادة لنكات بلاغية تزيد الكلام حسنًا وقوة. يراجع: البرهان في علوم القرآن (٣/٧٢-٧٤)؛ وحروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم، الشيخ عبد الرحمن تاج (القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٣٠، ١٩٧٢م) (ص: ٢١– ٢٤)؛ ومن وحي الزيادة في القرآن الكريم، علي النجدي ناصف (القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٤٧، ١٩٨١م) (ص: ٤٤– ٤٦).

مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ ﴾ [المائدة: ١١٣] تأثيرٌ في حسن النظم، وتمكينٌ للكلام في النفس، وبعدٌ به عن الألفاظ المبتذلة؛ وعلى هذا لا تكون الزيادة من قبيل الحشو غير المفيد [١].

فزيادة (ما) بعد باء الجر في الآية الأولى أفادت: تأكيد الجملة بما فيه من القصر؛ فتعين بزيادتها كون تقديم (رحمة من الله) للحصر، لا لمجرد الاهتمام، وهذا أبلغ في الدلالة على أن لينه ﷺ كان برحمة من الله [٢].

كما أفادت زيادة (ما) في الآية الثانية: كون تقديم (نقضهم ميثاقهم) للحصر، ومن ثمّ توكيد دلالة تسبب نقضهم الميثاق في حصول عقاب الله لهم باللعن وما بعده [٣].

وقريبٌ مما سبق طريقة النظم القرآني في الإتيان بجملة أو نحوها بعد تمام المعنى؛ كمجيئ قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ﴾ عقب قوله تعالى: ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ ﴾[البقرة : ١٦٩]؛ لإفادة التأكيد، من جهة ذكر العدد الذي قد يوهم ترك ذكره معاني أخرى غير مرادة؛ بسبب أن الواو في قوله تعالى:﴿ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ ﴾ ليس نصًا قاطعًا في الجمع، فقد تكون بمعنى (أو)؛ فتوهم معنى الإباحة، كما في قوله تعالى:﴿ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ ﴾ [النساء: ٣] ، ومن جهة التعبير بلفظ (كاملة) المفضي إلى سكون نفس الفاقد للهدي المتحمل لكلفة الصوم إلى ما حصل

---

١ – يراجع: الكشاف (٤٣١/١)؛ وسر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م) (ص:١٥٦).

٢ – يراجع: الكشاف (٤٣١/١)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٤٤/٤).

٣ – يراجع: تفسير التحرير والتنوير (١٧/٦).

له من الأجر الكامل من الله تعالى [١]. والملاحظ أن كلًا من الفائدتين دلالتهما نفسية وسلوكية في المقام الأول.

وختامًا لهذا المطلب أشير بإيجاز إلى منهج تفسيري واقعي، يمثل انعكاسًا قويًا للبعد النفسي والسلوكي على ممارسة التفسير، وهو (التفسير الإشاري).

ويمثل التفسير الإشاري صورةً أعمق للتفسير؛ تتجاوز حدود المعالجة اللغوية بمستوياتها المتنوعة، لتصل إلى استلهام ما في النظم من إشارات ودقائق، وفي الوقت ذاته لا تتعارض مع المعاني الظاهرة؛ ولعل هذا أول ما يؤكد أصالة البعد الوجداني والنفسي والسلوكي في التفسير الإشاري.

يقول العلامة الآلوسي –رحمه الله–: "وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق، تنكشف على أرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان" [٢].

والتفسير الإشاري ليس نفسيًا من جهة معينة، أو بعد محدد، بل هو في نشأته وتكوينه وجداني داخلي، نفسي وسلوكي؛ ولعل هذا ما يشير إليه قول الإمام القشيري –رحمه الله–: " وسبيل أهل الإشارة والفهم إلقاء السمع بحضور القلب ..." [٣].

---

١ – يراجع: الكشاف (٢٤١/١)؛ ومفاتيح الغيب (٣١٠/٥)؛ والإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي جلال الدين محمد ابن عبد الرحمن القزويني الشافعي (بيروت: دار الجيل، الثالثة، د.ت) (٢٢١/٢).

٢ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥ هـ) (٨/١).

٣ – لطائف الإشارات (٢٢٠/١).

ولا خلاف حول جواز هذا اللون من التفسير وقبوله [1]، ويقوي ذلك عدم تعارض تلك الإشارات مع المعاني الظاهرة.

ولبيان موقع البعد النفسي والسلوكي من التفسير الإشاري؛ أسوق هذا المثال:

ففي التفسير الإشاري لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴾ [النساء: ١٥] ، يشير الإمام القشيري – رحمه الله – إلى مقاصد الحدود الشرعية ومراميها، فيقول: " إنما اعتبر في ثبوت الفاحشة– التي هي الزنا– زيادة الشهود؛ إسبالًا لستر الكرم على إجرام العباد؛ فإنّ إقامة الشهود– على الوجه الذي في الشرع لإثبات تلك الحالة– كالمتعذّر" [2]، ولا شك أن لإدراك مثل هذه الجوانب آثارًا في معالجة النفس والسلوك.

كما يستلهم الإمام ابن عجيبة –رحمه الله– من الآية إشارات بديعة تسهم في ترقية النفس والسلوك، فيقول: " الإشارة: ينبغي للعبد، إذا طَغَتْ عليه نفسُه، وأرادت ارتكاب الفواحش، أن يستشهد عليها الحفظة، الذين يحفظون عليه تلك المعاصي، فإن لم تستحِ، فليعاقبها بالحبس في سجن الجوع والخلوة والصمت، حتى تموت عن تلك الشهوات، أو يجعل الله لها طريقًا بالوصول إلى شيخ يُغيِّبه عنها، أو بوارد قوي مِن خوف مُزعج

١ – يراجع: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ) (٧٣٦/٨)؛ وشرح العقائد النسفية، للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٤٣٦هـ-٢٠١٤م) (ص: ١٥٤).

٢ – لطائف الإشارات (٣١٩/١، ٣٢٠).

أو شوق مقلق، فإن تابت وأصلحت، أعرض عنها واشتغل بذكر الله، ثم يغيب عما سواه. وبالله التوفيق" [١]، وفي الوقت ذاته لا تتعارض مع حقائق الشرع وظاهر النظم الشريف.

وهكذا يتضح أن للبعد النفسي والسلوكي موقعًا أصيلًا من فكرة النظم ومن التفسير، ولعل هذا ما سيتضح تطبيقًا بإذن الله تعالى، من خلال المبحث الثاني.

المبحث الثاني

الدلالات النفسية والسلوكية في نظم آيات الصيام في سورة البقرة

يُقصد بمصطلح الدلالات النفسية والسلوكية: المعنى المتعلق بهداية نفس المخاطب وضبط سلوكه وترقيته، المستفاد من النظم القرآني، في إطار مقاصد التفسير وضوابطه، من الكشف عن مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية.

ومجال دراسة الدلالات حسب خطة البحث، هو آيات الصيام في سورة البقرة، وهي من الآية الثالثة والثمانين بعد المائة إلى الآية السابعة والثمانين، وفي هذه الآيات دلالات وفوائد تفسيرية متعددة ومتنوعة، كلها من الأهمية بمكان، لكن لما كانت طبيعة البحث تقتضي التركيز على البعدين النفسي والسلوكي، كان الإيجاز في عدد من المسائل والفروع المتعلقة بالآيات؛ لعدم تعلقها بالمحور الرئيس للبحث.

وأتناول هذه الدلالات النفسية والسلوكية في نظم الآيات، حسب ترتيب المصحف الشريف، من خلال المطلبين الآتيين:

---

١ – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (القاهرة: طبعة الدكتور حسن عباس زكي، الأولى، ١٤١٩ هـ) (١/ ٤٧٩) (١/٢٢٠).

المطلب الأول: الدلالات النفسية والسلوكية في الآيات (١٨٣-١٨٥):

يقول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥] .

مناسبة الآيات لما قبلها وما بعدها، وما فيها من دلالات:

من صور النظم القرآني ما يتعلق بنظم الآيات والتناسب فيما بينها، وقد جاءت هذه الآيات عقب الحديث عن القصاص والوصية وبعض أحكامهما، وفي المناسبة بينهما وجوه:

- الأول: أن في القصاص قتل النفس حسًا، وفي الصوم قتل الشهوة المسببة للوطء، المسبب لإيجاد النفس حسًا.
- الثاني: أن في القصاص حياة الأرواح معنى، وفي الصوم حياة الأرواح بطهارة القلوب وفراغها للتفكر، وتهيئها لإفاضة الحكمة والخشية الداعية إلى التقوى وإماتة الشهوة.
- الثالث: أن في الصوم تذكيرًا بالضر الحاث على الإحسان إلى المضرور، وهو مدعاة إلى التخلي من الدنيا، والتحلي بأوصاف الملائكة، وهذا يناسب الوصية المأمور بها المتقون بالتخلي من الدنيا، عند مقاربة الاجتماع بالملائكة.

- أن آية الوصية ختمت بالمغفرة والرحمة؛ وفي قرب موضع ذلك من آيات الصيام إشارة إلى أن الصائم من أقرب الناس إليهما [١].

كما تناسب الآية ما قبل آيات القصاص والوصية من خلال ما ذكر قبلهما من أصناف البر، وهي: إتيان المال مع حبه، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإشارة إلى الجهاد، ولم يُذكر الصوم والحج، فجاء ذكرهما في هذه الآيات وما يتبعها، وبهذا تجتمع أركان الإسلام كاملة [٢].

وتعدد وجوه التناسب بين الآيات وما قبلها أدعى إلى تحصيل إدراك المكلف قيمة الفريضة، وحسن امتثاله، وإتمامه للصوم على الوجه الأكمل، كما يناسب ذلك أيضًا ما يتصور من حصول مشقة في الصوم، خاصةً في بدايات تشريعه وعند حديثي العهد به.

نظم الآية (١٨٣) وما فيه من دلالات:

في نظم الآية (١٨٣) عدد من الدلالات النفسية والسلوكية، وهي:

- أولًا: في فصل جملة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾عما قبلها – ولا إشكال في هذا من جهة المعاني؛ حيث سوغ لذلك انتقال آيات الصيام إلى غرض آخر، يختلف عن غرض سابقتها [٣] – صورة من صور وضوح بيان القرآن الكريم للمعاني والأحكام، فرغم ما بين الآيات من وجوه التناسب، إلا أن للفصل بينهما أثرًا نفسيًا وسلوكيًا، يتمثل في تحديد المحور المقصود من كل منهما في ذهن المخاطب؛ وذلك أليق بوضوحه، وأدعى لقوة امتثال الأمر وإتمامه.

---

١ – يراجع: نظم الدرر (٣/٤٠).

٢ – يراجع: زهرة التفاسير (١/٥٥٠).

٣ – يراجع: النبأ العظيم (ص: ٢٦١).

- ثانيًا: في افتتاح الآيات بالنداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ما يسهم في تحقيق إدراك المكلفين للمأمور به وامتثالهم؛ حيث إن الطلب في النداء يقصد به حصول المطلوب وثبوته في الخارج وليس مجرد حصوله في الذهن [1]، ويضاف إلى ذلك كونه نداءً بوصف الإيمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ؛ فيكون نداءً بالمدح، يناسب الأمر بتفاصيل الشريعة، ويشعر بإقبال المنادي على المنادى [2].

وفي أسلوب النداء –عمومًا– دلالات متعددة تتعلق بالنفس والسلوك، منها: إيقاظ المنادى وتنبيهه؛ للاهتمام بما يأتي بعده من الكلام؛ فيتدبر مقاصده وغاياته، ومن ثم يستعد للامتثال له، وفيه أيضًا الدلالة على توطيد العلاقة بين المنادي والمنادى، ، وإفادة الاهتمام بالمنادى وتوجيه الأنظار إليه؛ مما يدفعه إلى الالتزام والانقياد، كما أن فيه ضربًا من الإيجاز والاختصار وتلوين الخطاب؛ بما يحقق استمالة المنادى، وبعث الطمأنينة في نفس السامع، وتقوية الحاجة إلى التفكير، وتصور المعنى المضمن في أسلوب النداء [3].

- ثالثًا: في التعبير عن الفرضية بالفعل المبني للمفعول ﴿كُتِبَ﴾ ما يشعر بشدة العناية بالمعمول (الصيام)، والدلالة على أن مقصود النظم الأهم هو بيان فرضية الصيام وكونه مكتوبًا عليهم، بما استفاض في لسان الشرع، كما يشعر بعموم هذا الحكم في الأمة

١ – يراجع: مفتاح العلوم (ص: ٣٠٤).

٢ – يراجع: البرهان في علوم القرآن (٢/٢٢٨–٢٣٠).

٣ – يراجع: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/١٣٥)؛ والنداء في اللغة والقرآن، أ.د أحمد محمد فارس (بيروت: دار الفكر اللبناني، الأولى، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م) (ص:١٦٠، ١٦١).

جمعاء، ويؤيد ذلك ويتسق معه استعمال﴿ عَلَيۡكُمُ ﴾ المفيدة معنى الاستعلاء [١].

كما يناسب بناء (كُتب) للمفعول أيضًا كون الفاعل معلومًا، وهو الله تعالى، وكون الصيام من المشاق الصعبة على المكلف، فناسب عدم نسبة الكتب فيه إلى الله تعالى، وإن كان سبحانه من كتب، وهذا من لطيف بيان القرآن الكريم [٢].

- رابعًا: في إيثار النظم استعمال صيغة (الصيام) بدل الصوم كما ورد في السنة اتساق دلالي مع ما في هذه الفريضة من معان وقيم وغايات؛ فـ" صيغة "الصيام" وعاء لغوي كبير، وصورة قرآنية تصور جهاد النفس في صيامها، وجهادها مع الضروريات ومقومات الحياة من الطعام والشراب، وجهاد النفس مع الملذات والشهوات، ومع المحرمات والممنوعات، وتصور جهاد النفس في المسارعة إلى الخيرات، ومضاعفة الحسنات، والتسابق إلى الحب والإخاء

والتعاون والنصرة للمظلوم وللحق، وإلى الإنصاف والعدل والجود والكرم والعزة والإباء والقوة والبناء. إن صيغة الصيام لا الصوم ثرية بالمعاني والمضامين، تتسع للجوانب الرحبة في التشريع الإسلامي لهذه الفريضة، وتستوعب كل ما تهدف إليه من غايات شريفة وأهداف سامية،

---

١ - يراجع: تأويلات أهل السنة، الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) (٢٦/٢، ٢٧)؛ والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي (القاهرة: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م) (٦٥/١، ٦٦)؛ ونظم الدرر (٤٢/٣).

٢ - يراجع: البحر المحيط في التفسير (٢/ ١٧٧).

تلتقي جميعًا في أساسين كبيرين: وهما البناء الجسدي السوي الصحيح، والبناء الأخلاقي الفاضل القويم" [1].

- خامسًا: في استعمال أسلوب التشبيه في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ دلالات نفسية وسلوكية، تظهر من خلال أغراضه، وهي:

- الأول: تسلية المكلفين، وتطييب أنفس المخاطبين، والتهوين عليهم بالتأسي بمن قبلهم؛ فلا يشق عليهم الصوم؛ لأن المشاق إذا عمت طابت، خاصةً لمن قد يستعظم الصوم من المشركين، فيمنعه عن الإسلام، وكذلك قريبي العهد بالإسلام، ويعضد هذا المعنى قوله تعالى في الآية بعدها: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ ، بما فيها من معنى القلة.
- الثاني: تأكيد لحكم الصوم وترغيب فيه، وبيان الاهتمام بهذه العبادة، والتنويه بها؛ حيث شرعت قبل الإسلام، وشرعت للمسلمين؛ مما يدل على اطراد صلاحها وعظم ثوابها؛ وفي هذا إنهاض للهمم لتلقي هذه العبادة.
- الثالث: إثارة العزائم للقيام بهذه الفريضة، حتى لا يكون مقصرين في قبولها وأدائها؛ بل ليأخذوه بقوة، تفوق ما أدى به السابقون [2].

---

١ – التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، أ.د علي صبح (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط.ت) (ص: ١٦٦، ١٦٧)

٢ – يراجع: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م) (٣/ ٢٢٧)؛ و روح المعاني (١/ ٤٥٣)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٥٦/٢، ١٥٧).

ويمثل استخدام أسلوب التشبيه في الدراسات النفسية صورة من صور الاهتمام بالعادات القائمة بالفعل، وهي من الوسائل المستخدمة في العلاج السلوكي [١].

وقد اختلف في المعنى الذي وقع فيه التشبيه في الآية، فقيل: إنه تشبيه في أصل فرض ماهية الصوم، لا في الكيفيات، وهذا جائز؛ لأن التشبيه يكتفى فيه ببعض وجوه المشابهة، وهو وجه الشبه المراد في القصد، وهذا الرأي هو الأظهر؛ بناءً على ما في ظاهر النظم من إجمال. وقيل: إنه تشبيه في الوقت والمقدار، فيكون المفروض صيامه على من قبلنا شهر رمضان، أو أيامًا معدودات. وكذلك اختلف في المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ ، فقيل: إنها عامة في كل الناس، وقيل: خاصة في النصارى، وقيل: خاصة في أهل الكتاب، وهو الراجح [٢].

- سادسًا: في تذييل الآية بما يفيد بيان علة التشريع ومقاصده، في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ مبالغة في تحقيق إدراك المكلف "لحكمة الصوم، وما لأجله شرع" [٣]؛ فيكون أدعى لأن تعظم في نفسه قيمة الفريضة ومكانتها، فيأتي بها على الوجه الأتم.

---

١ – يراجع: الصحة النفسية في الإسلام: المعالج النفسي المسلم، د. السيد عبد الرازق الزتحري (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد ٨، ١٩٨٤م) (ص: ٢٣٩).

٢ – يراجع: جامع البيان (٤٠٩/٣-٤١٢)؛ ومعاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م) (٢٥١/١)؛ وأحكام القرآن، أبوبكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٠٥ هـ) (٢١٥/١)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٥٦/٢).

٣ – تفسير التحرير والتنوير (١٥٨/٢).

ومعنى الترجي في﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ متعلق بالعباد، والمعنى: أنه ينبغي لكم بالصوم أن يقوى رَجاؤكم في التقى، وقيل: إن (لعل) بمعنى (كي) على سبيل الاستعارة؛ بتشبيه شأن الله تعالى في إرادته من تشريع الصوم التقوى بحال المترجي من غيره فعلًا ما [1].

– سابعًا: في اقتصار النظم في بيان علة تشريع الصيام على التقوى، في قوله تعالى:﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ إشارةٌ إلى أهمية التقوى ودورها في ضبط السلوك البشري وتحقيق التوازن النفسي؛ وذلك أن مفهوم التقوى يتضمن معاني متعددة، منها: تحكم الإنسان في دوافعه وانفعالاته، وسيطرته على ميوله وأهوائه؛ فيقوم بإشباع دوافعه الفطرية (ومنها الطعام والشراب وسائر المفطرات) في الحدود التي يسمح بها الشرع فقط، كما يتضمن المفهوم أيضًا توخي الإنسان القيم الخلقية والسلوكية دائمًا في أفعاله، وأن يؤدي ما يوكل إليه من أعمال على أحسن وجه؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه [2].

وقد تعددت الأقوال في المراد بالتقوى في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، فقيل: إن المراد بذلك: لتكونوا من المتقين وتنتظموا في زمرتهم، إذ الصوم شعارهم، وقيل: المراد تحصيل تقوى الله عمومًا بالمحافظة على فريضة الصيام وتعظيمها؛ لأصالتها وقدمها، وقيل: المراد تحصيل اتقاء

١ – يراجع: التَّفْسِيرُ البَسِيْط (٥٥٩/٣)؛ والبرهان في علوم القرآن (٩٩/٣)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٥٨/٢).

٢ – يراجع: القرآن وعلم النفس، أ.د محمد عثمان نجاتي (القاهرة: دار الشروق، السابعة، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م) (ص: ٢٨٢، ٢٨٣).

المعاصي خصوصًا بالصيام [١]؛ " فإن الصيام وصلةٌ إلى التقى؛ لأنه يكف الإنسان عن كثير مما تطلَّع إليه النفسُ من المعاصي" [٢].

- ثامنًا: في اقتصار النظم في بيان علة تشريع الصيام على التقوى إيماءٌ إلى أن "ترك اتباع شرائع الله الدينية مؤد إلى غضبه وإلى عقابه" [٣]؛ مما يشحذ همة المكلف، ويستنفر طاقاته نحو الفريضة؛ خشية الوقوع في ذلك.
- تاسعًا: في حذف معمول الفعل ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ ، إشارةٌ إلى اهتمام النظم بتحصيل معنى (التقوى)، وفيه أيضًا صورةٌ من صور عموم المعنى، الذي تذهب نفس المخاطبين فيه كل مذهب [٤].

وليس بخاف في كل ما سبق من أنماط النظم من جوانب نفسية وسلوكية، أقربها الوصول بالمكلفين إلى الصورة المثالية قدر المستطاع لأداء فريضة الصوم، وإدراك مقاصده وغايته، وأعلاها الإشارة إلى تحقيق الصيام عن الحظوظ والشهوات؛ وصولًا بالمريد إلى الارتقاء عن حضيض الانغماس في المادة، إلى أوج العالم الروحاني، فالصوم من وسائل

١ – التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (الرياض: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأولى، ١٤٣٠هـ) (٥٥٩/٣)؛ والكشاف (٢٢٥/١)؛ ومفاتيح الغيب (٢٤٠/٥، ٢٤١).

٢ – التَّفْسِيرُ البَسِيْط (٥٥٩/٣).

٣ – الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٤٩).

٤ – يراجع دلائل الإعجاز (ص:١٠٥)؛ وحاشية الدسوقي على مختصر المعاني، محمد بن عرفة الدسوقي (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط.ت) (٧٣٥/١).

الارتياض بالصفات الملكية، والانتفاض من غبار الكدرات الحيوانية [١]، وهذا كله مما يؤكد أهمية الصوم، ويشهد لعظم مكانته.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة –رحمه الله–: " وإن الصوم بهذه المعاني الجليلة المهذبة للنفس، الضابطة للإرادة، كان من أعظم العبادات عند الله تعالى" [٢].

نظم الآية (١٨٤) وما فيه من دلالات:

في نظم الآية (١٨٤) عدد من الدلالات النفسية والسلوكية، وهي:

– أولًا: في افتتاح الآية بقوله تعالى:﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ مناسبةٌ وتأييدٌ لما فهم من معاني التيسير وقصد تهوين المشقة الحاصلة في الصوم في الآية السابقة، (من خلال التشبيه، وبيان علة الحكم المشعرة بمكانة الفريضة وأهميتها)، فالحاصل أنها أيام "موقتات بعدد معلوم، أو قلائل" [٣]، وليس بخاف ما في هذا الأسلوب من جانب نفسي مؤثر، يعبر عنه الإمام القشيري –رحمه الله– بقوله: " ويقال: إنه لما علم أن التكليف يقتضى المشقة، خففه عليك ذلك بأن قلّل أيام الصوم في قلبك؛ فقال:﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ، أي مدة هذا الصوم أيام قليلة؛ فلا يهولنكم سماع ذكره "[٤]، وفي الإشعار بقلة الأيام المذكورة حثٌ للمكلف على المبادرة إلى صومها، واغتنام ثوابها، فثوابها عظيم رغم كونها معدودات[٥].

---

١ – يراجع: البحر المديد (٢١٣/١)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٢/ ١٥٨).

٢ – زهرة التفاسير (٥٥٢/١).

٣ – الكشاف (٢٢٥/١).

٤ – لطائف الإشارات (١/ ١٥٤).

٥ – وقد اختُلف في المراد بالأيام المعدودات؛ فقيل: هي صومُ ثلاثة أيام من كل شهر، =

- ثانيًا: في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ إشارات متعددة، تتعلق بجوانب النفس البشرية، وسلوك المكلفين، منها:
- الأولى: التأكيد العملي لمبدأ التيسير في أداء فريضة الصوم، من خلال استثناء أصحاب الأعذار، ممن كُلِّف صَومه، أو كان صحيحًا غير مريض وكان على سَفر، من أداء الصوم في وقته الأصل (الأيام المعدودات)، وهذا يعني أن فرض الصيام في الأيام المعدودات يلزم الأصحاء المقيمين، وأما غيرهم فمخير بين الصوم والفطر مع القضاء[١].
- الثانية: بيان أهمية فريضة الصوم ومكانتها؛ حيث دعت من فاته الصوم لعذر أن يبادر إلى تلافي ما ضاع منه في أيام أخر [٢].
- ثالثًا: في إضمار لفظ الفطر في الآية، (إذ التقدير: فأفطر فعدة ...) إشارة مهمة، وهي بيان أن الصوم هو الأصل، ويتسق هذا مع ما تقدم من معاني حث المكلفين وتقوية هممهم.

=

وكان ذلك الذي فُرض على الناس من الصيام قبل أن يُفرض عليهم شهرُ رمضان. وقيل: هي الأيام الثلاثةُ التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومُها تطوعًا قبل أن يفرض رمضان. وقيل: هي أيامَ شهر رمضان، وهو الأرجح. يراجع: جامع البيان (٣/٤١٤-٤١٧)؛ وأحكام القرآن للجصاص (١/٢١٥)؛ وأحكام القرآن لابن العربي (١/١٠٩)؛ ومفاتيح الغيب (٥/٢٤١).

١ - يراجع: جامع البيان (٣/٤١٨)؛ وأحكام القرآن للجصاص (١/٢٦٥).

٢ - يراجع: البحر المديد (١/ ٢١٣).

- رابعًا: في قوله تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾ تأكيدٌ عمليٌ آخر، لما سبق من معالم التيسير في تشريع الصوم؛ حيث أفادت الرخصة في الإفطار والفدية لمن تشتد به مشقة الصوم؛ كالشيخ الهرم، والمرأة المرضع والحامل، وهذا على تفسير الإطاقة بالجهد والمشقة. وعلى تفسيرها بالقدرة، فالآية تدل على أن للقادر على الصوم أن يعوضه بالإطعام، وهذا الحكم غير مستمر بالإجماع؛ لذا قيل في حمل الآية عليه: إنها تضمنت حكمًا كان فيه توسعة ورخصة، ثم انعقد الإجماع على نسخه، حيث كان ذلك في أول الإسلام لمن شق عليهم الصوم، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ (١).
- خامسًا: في قوله تعالى:﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ ﴾ حثٌ على التطوع بالطاعات، وذلك على جهة كونه كلامًا مستأنفًا؛ فيتسق بذلك مع ما في النظم قبله من إرادة تقوية الهمم على الصوم والطاعة. وأما على جهة كونه متصلًا بقوله تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾ ، فالمراد زيادة المكلف ذي العذر على مقدار الفدية تطوعًا، وفي كلٍ

١ – يراجع: الكشاف (٢٢٦/١)؛ وتفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩هـ) (٣٦٦/١، ٣٦٧)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٦٦/٢، ١٦٧). ويراجع في دعوى النسخ: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م) (٢/ ٢٠)؛ والإتقان في علوم القرآن (٧٣/٣)؛ والنسخ في القرآن الكريم، أ.د مصطفى زيد (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) (ص: ٦٣٩-٦٤٤).

ملمح نفسي وأثرٌ سلوكي ظاهر [١]؛ حيث تحث الآية على التطوع والزيادة؛ لكونهما أفضل من عدمهما.

- سادسًا: في قوله تعالى:﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ تحريضٌ على القيام بالواجب المفروض (الذي كتب عليكم وعلى الذين من قبلكم)، ولا شك أن أداء الفريضة الواجبة فيه خير عظيم، وقد يحمل على معنى مداومة الصوم، فينتظم مع ما سبق أيضًا [٢].
- سابعًا: في مجيء قوله تعالى:﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ على نمط الخطاب جبرٌ لكلفة الصوم ومشقته؛ بلذة المخاطبة، وإشارةٌ إلى عظم مرتبة الصائمين وعلو درجتهم؛ بدلالة مجيء ذكر من قبلهم بنمط الغيبة، في قوله تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ ﴾ [٣]؛ مما يكون أدعى إلى اختيار جانب الصائمين.
- ثامنًا: في قوله تعالى:﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ إشارات وجدانية وسلوكية متعددة، منها: أن من علم فرض الصوم عليه، أدرك كونه خيرًا من الفطر، كما أن فيه دعوةً إلى تدبر ما في الصوم من المعاني المورثة للتقوى وغيرها. وعلى القول بأن المراد بالعلم: الخشية، فصاحب الخشية يراعي الاحتياط، والاحتياط إنما يكون في فعل الصوم، فكأنه قيل: إن

---

١ – يراجع: أحكام القرآن للجصاص (٢٢٢/١، ٢٢٣)؛ والكشاف (٢٢٦/١)؛ والمحرر الوجيز (٢٥٣/١).

٢ – يراجع: أحكام القرآن للجصاص (٢٢٣/١)؛ ومفاتيح الغيب (٢٥٠/٥)؛ والبحر المديد (٢١٣/١)؛ وزهرة التفاسير (٥٥٥/١).

٣ – يراجع: نظم الدرر (٥٠/٣)؛ وروح المعاني (٤٥٦/١).

كنتم تعلمون الله حتى تخشونه، كان الصوم خيرًا لكم، وبهذا تكون الجملة تأكيدًا لخيرية الصوم مبنيٌ على التدبر والتأمل والعلم [١].

نظم الآية (١٨٥) وما فيه من دلالات:

- أولًا: في قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ بيانٌ لما أجمل في قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ ، وفيه من الدلالة على مكانة الصوم ورفعة منزلته ما فيه [٢]؛ فالبيان بعد الإجمال من وسائل ترسيخ المعاني في النفس؛ فإن المخاطب إذا تلقى المعاني مجملةً، تشوقت نفسه إلى معرفتها مفصلة مبينة، فيكتمل الإدراك والشعور، أو لتكمل لذة النفس بالعلم بالمجمل مبينًا، وفيه أيضًا إشارة إلى عظم مكانة المبيَن وعلو شأنه [٣].
- ثانيًا: في إيثار التعبير بلفظ (رمضان) المشعر بالمبالغة في الرمض بمعنى الإحراق، وهو إحراق للذنوب، إشارة إلى ما في هذا الشهر من معاني الفوز، وبشريات النجاة [٤].

يقول الإمام الرازي –رحمه الله–: " وهذا الشهر أيضا رمضان، بمعنى أن الذنوب تحترق في جنب بركته" [٥].

- ثالثًا: في ذكر اختصاص شهر رمضان بإنزال القرآن فيه جملةً واحدة إلى السماء الدنيا، تأييدٌ لما سبق بيانه من تعظيم شأن الصوم؛ بما

---

١ – يراجع: مفاتيح الغيب (٢٥٠/٥)؛ وروح المعاني (٤٥٦/١).

٢ – يراجع: نظم الدرر (٥٤/٣).

٣ – يراجع: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الشيخ عبد المتعال الصعيدي (القاهرة: مكتبة الآداب، السابعة عشرة، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م) (٢/ ٣٤٦).

٤ – يراجع: لطائف الإشارات (١٥٤/١، ١٥٥)؛ والتفسير البسيط (٥٧٢/٣).

٥ – مفاتيح الغيب (٥/ ٢٥١).

يعلي منزلته في نفس المخاطب؛ فينعكس ذلك على علاقته بالفريضة وأدائها، فإن اختصاص شهر رمضان بأعظم آيات الربوبية، مشعرٌ بكون فريضة الصوم المختصة به من عظيم آيات العبودية (١).

- رابعًا: في قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ تأكيدٌ عمليٌ، وتأييدٌ لما سبق، من معاني التيسير الحاصلة في تشريع الصوم وممارسته.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة –رحمه الله – مشيرًا إلى بعض المعالم النفسية والسلوكية العامة والخاصة، في الآيات السابقة: " وإن شرعية صيام رمضان مع الرخص التي تسوغ الإفطار، هو من تيسير أداء الفريضة؛ ذلك أن من شأن هذه الشريعة أنها إذا كلفت تكليفًا فيه مشقة، فتحت باب الترخيص؛ ليسهل الأداء، وليداوم عليه، ويستمر من غير تململ، ولا تحملُ المكلفين على أقصى المشقات؛ ولذا قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ ، وهذا النص الكريم فيه إشارةٌ إلى تعليل هذه الرخص، وفيه إشارةٌ إلى الوصف العام لشرع الله تعالى" (٢).

- خامسًا: في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾

---

١ – يراجع: جامع البيان (٤٤٥/٣)؛ ومفاتيح الغيب (٥/ ٢٥١، ٢٥٢)؛ والمرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، الإمام أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (بيروت: دار صادر، د.ط، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م) (ص:١١)؛ والجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (القاهرة: دار الكتب المصرية، الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م) (٢٩٨/٢).

٢ – زهرة التفاسير (٥٦٠/١).

شبه تعليلٍ لما سبق في الآيات قبلها، وهذا من الأساليب ذات البعد النفسي والتأثيري؛ لما يتضمنه من إقناع. ففي قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ تعليلٌ لإباحة الفطر في السفر والمرض، ويجوز أن يكون تعليلاً لجميع ما تقدم من قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ فيكون إيماءً إلى أن مشروعية الصيام وإن كانت تلوح في صورة المشقة والعسر، فإن في طيها من المصالح ما يدل على أن الله أراد بها اليسر، والمراد تيسير تحصيل رياضة النفس بطريقة سليمة، بدلًا من إرهاق أصحاب بعض الأديان الأخرى أنفسهم. وفي قوله تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ عللٌ لمحذوف دل عليه ما سبق، والتقدير: وشرع جملة ما ذكر من أمر المقيم بصوم الشهر، وأمر المرخص له بالقضاء، ومراعاة عدة ما أفطر فيه، والترخيص، وفي هذا التعبير ما يعرف باللف والنشر[١]؛ فإن قوله تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ﴾ علة الأمر بمراعاة العدة، وقوله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ علةُ الأمر بالقضاء وبيان كيفيته، وقوله تعالى: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ علةُ الترخيص والتيسير [٢].

١ – اللف والنشر: هو عبارة عن ذكر الشيئين على جهة الاجتماع، مطلقين عن التقييد، ثم يوفّى بما يليق بكل واحد منهما؛ اتكالًا على أن السامع لوضوح الحال يرد إلى كل واحد منهما ما يليق به، وهو في الحقيقة جمع ثم تفريق. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٢/ ٢١٢).

٢ – يراجع: أنوار التنزيل (١/١٢٥)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٢/ ١٧٥).

-سادسًا: في تعقيب الآيات السابقة المتعلقة بالصوم بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] إيماءٌ إلى أن الصيام مما يحصل به القرب من الله تعالى؛ لكونه مما يرقق القلب، وفي هذا إشعارٌ بوجه آخر من وجوه مكانة الصوم ومنزلته، وعظم ثواب من امتثل هدايات الله في ممارسته [١].

-سابعًا: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] تنويهٌ بمكانة الصائمين المخاطبين بالآيات السابقة على عمومهم، وعظم جزائهم عند ربهم، وتنبيهٌ على شدة قرب العبد من ربه في مقام الدعاء، وإيماءٌ إلى أن الصائم مرجو الإجابة، وإلى أن شهر رمضان مرجوة دعواته، وإلى مشروعية الدعاء عند انتهاء كل يوم من رمضان[٢]، وهذه كلها مؤكدات لمكانة الفريضة وعظم شأنها.

ومن الجدير بالانتباه إليه في آيات الصوم السابقة، هو قلة عبارات هذه الآيات، مقارنةً بغيرها من آيات الأحكام، وعلى الرغم من هذا فقد حوت من المعاني عظيمها، ومن الإشارات أنواعها؛ بما يحقق التحفيز للمكلف، وشحذ همته نحو إقامة الفريضة، والإتيان بها على صورة مثالية، وبما يشهد باتساق تلك الجوانب مع إعجاز نظم القرآن الكريم [٣].

---

١ - يراجع: البحر المديد (٢١٣/١)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٧٨/٢).

٢ - يراجع: تفسير التحرير والتنوير (١٧٨/٢، ١٧٩).

٣ - يراجع: من بلاغة القرآن (ص: ٢٦٢).

كما يلاحظ أن الآيات الكريمة سلكت في ترسيخ البعد النفسي والسلوكي طريق الإقناع، بوجوه متعددة من المعاني، وبأساليب خطاب اتسمت بالرفق واللين؛ وصولًا إلى إدراك المكلف فائدة ما أُمر به، وضرر ما نُهي عنه، ومن ثم يتقد في داخله الدافع إلى الطاعة والامتثال، وفق أمثل صورة، وأقصى مثال [١].

المطلب الثاني: الدلالات النفسية والسلوكية في الآية (١٨٧):

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧].

مناسبة الآيات لما قبلها وما بعدها، وما فيها من دلالات:

يلاحظ في مناسبة الآية لما قبلها: أن في الآيات السابقة حديثًا عن فرض الصيام ومكانته، وحكمه ومقاصده، وبعض أحكامه، وحث عليه مع بيان منزلة الصائمين، وفي هذه الآية بيان لبعض أحوال الصوم، وإزالة بعض الأوهام عنه [٢].

والمقصود من الآية كما ذكر العلامة ابن عاشور -رحمه الله- : "إبطال شيء توهمه بعض المسلمين، وهو أن الأكل بين الليل لا يتجاوز

---

١ - يراجع: التأصيل الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي لاضطرابات ما بعد الصدمة، أ.د كمال إبراهيم مرسي (الكويت: جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، المجلة التربوية، مجلد ١٣، عدد ٥٠، ١٩٩٩م) (ص: ١٠٣-١٣٩).

٢ - يراجع: البحر المحيط في التفسير (٢/٢١٠)؛ وزهرة التفاسير (٢/٥٦٤)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٢/١٨٠).

وقتين (وقت الإفطار ووقت السحور)، وجعلوا وقت الإفطار هو ما بين المغرب إلى العشاء، لأنهم كانوا ينامون إثر صلاة العشاء وقيامها، فإذا صلوا العشاء لم يأكلوا إلا أكلة السحور، وأنهم كانوا في أمر الجماع كشأنهم في أمر الطعام، وأنهم لما اعتادوا جعل النوم مبدأ وقت الإمساك الليلي، ظنوا أن النوم إن حصل في غير إبانه المعتاد، يكون أيضا مانعا من الأكل والجماع إلى وقت السحور، وإن وقت السحور لا يباح فيه إلا الأكل دون الجماع؛ إذ كانوا يتأثمون من الإصباح في رمضان على جنابة" [١].

ومناسبة آيات الصيام كافةً لما بعدها: أن الصوم المذكور في الآيات مؤقت بزمن محدود، وهو صوم عن بعض الحلال، فناسب ذلك تعقيبه بلون آخر من الصوم الدائم عن السحت والحرام في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨] [٢].

نظم الآية وما فيه من دلالات:

- أولًا: في التعبير عن حكم الإباحة بالفعل المبني للمفعول﴿ أُحِلَّ ﴾ في قوله تعالى:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ إشارةٌ إلى عناية النظم بالحكم المباح وأنه المقصود الأهم من النظم، وسهل ذلك كون الفاعل معلومًا، وفيه إيماءٌ إلى عموم هذا الحكم واستمراره [٣].

---

١ – تفسير التحرير والتنوير (١٨١/٢)، ويراجع: أحكام القرآن لابن العربي (١٢٧/١).

٢ – يراجع: تفسير التحرير والتنوير (١٥٤/٢).

٣ – يراجع: جامع البيان (٤٨٧/٣)؛ والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٦٥/١، ٦٦)؛ ولطائف الإشارات (١٥٨/١).

وقد ورد أن هذه الآية ناسخةٌ لقوله تعالى:﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٨٣] ؛ "بناءً على ما روى أن شهر رمضان قد فرض على الذين من قبلنا، على الوجه الذي كان مفروضا على المسلمين قبل نزول هذه الآية الناسخة [١]، بمعنى أنهم قد كتب عليهم أنه إذا صلّى أحدهم العشاء ونام حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى مثلها من الليلة المقبلة. والواقع أنه لا يمكن القطع على وجه اليقين بأن الصوم قد فرض على الذين من قبلنا على هذا النحو، فيكون الأصح الذي تطمئن إليه النفس أن هذه الآية ناسخة للسنة [٢] التي كان عليها المسلمون في أول الإسلام" [٣].

---

١ – وذلك أنّ صومهم كان من العشاء الآخرة إلى العشاء الآخرة"، وقد ذكر الإمام الطبري أسانيد لهذا القول عن السدي والربيع، ولم يرجحه. يراجع: جامع البيان (٣/٤١١، ٤١٢).

٢ – وهو حديث سيدنا البراء بن عازب –رضي الله عنه–، قال: " كان أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– إذا كان الرجل صائما، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي –صلى الله عليه وسلم– فنزلت هذه الآية:﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ففرحوا بها فرحا شديدا، ونزلت:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧]. والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الصوم، باب: قول الله جل ذكره: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٨٧] (ح:١٩١٥)، والإمام أحمد في مسنده، مسند سيدنا البراء بن عازب (ح: ١٨٦١١)، وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٣ – الموسوعة القرآنية المتخصصة (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م) (ص: ٦٤٢)، ويراجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٧٥)؛ والإتقان في علوم القرآن (٣/٧٣).

- ثانيًا: في قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ ﴾ إشارةٌ إلى " صحة صوم من أصبح جنبا؛ إذ إباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جنبا في جزء من النهار" [١]، وهو من معالم رفع الحرج والتيسير.
- ثالثًا: في قوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ ﴾ توكيدٌ لحكم الإباحة في الجملة السابقة؛ بما يزيل من ذهن المخاطب توهم بقاء حرمة إتيان الرجل زوجه في ليالي شهر رمضان، وأن الإباحة قد تتعلق بما دون النكاح؛ وقد أتي بها النظم في صورة ".. البيان لسبب الإحلال، وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهنّ مثل هذه المخالطة والملابسة، قلّ صبركم عنهنّ، وصعب عليكم اجتنابهنّ، فلذلك رخص لكم في مباشرتهنّ" [٢]، وليس بخاف انتظام هذا الملمح مع مقصد التيسير ورفع الحرج المطرد في تشريع الصوم.

ويلاحظ أن استعمال النظم لفظ (اللباس) فيه معنى الحفظ والوقاية من الأخطار، وفيه معنى التجمل والزينة في أعين الناس، وفيه معنى حفظ العورات، وما لا يحب أحد أن يطلع عليه الناس، ولا يمكن أن تتوافر هذه المعاني مجموعة بهذه الصورة البديعة في غير النظم القرآني [٣].

- رابعًا: في قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ ﴾ تأكيدٌ لما تقرر من تواتر معالم التيسير ورفع الحرج في فريضة الصوم وسائر الشرع؛ وذلك من خلال أسلوب التأنيس

١ – الإتقان في علوم القرآن (٣/ ١٠٥).

٢ – الكشاف (٢٢٩/١).

٣ – يراجع: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢/ ٢٤١).

بالزيادة على التوبة بالعفو الذي يمحو أثر الذنب، وفيه إشعارٌ بأن مثل ذلك الفعل يستحق من المكلف تطهرًا منه، بكفارة أو شبهها [١].

- خامسًا: في قوله تعالى:﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ صورة عملية صريحة من صور التيسير ورفع الحرج عن الأمة؛ بما تضمنه من بيان إباحة إتيان الرجل زوجه في ليل رمضان بصيغة الأمر، وهي في الوقت ذاته صورة من صور الوضوح في بيان الأحكام؛ إذ هو أمر وارد عقب حظر، فلا يكون إلا للإباحة [٢].
- سادسًا: في اقتران الأمر الدال على إباحة الجماع في ليالي رمضان بقوله تعالى:﴿ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ إشارةٌ إلى أن من سلوك المؤمن ضبط الشهوات بمقاصدها؛ حيث يفهم من ذلك أن المباشرة لا تكون لمجرد قضاء الشهوة، ولكنها لطلب ما شرع الله تعالى له النكاح من التناسل والولد، وهنا لطيفة أخرى من لطائف النظم، وهي أن من رجحوا كون المراد بجملة ﴿ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ الولد، استندوا إلى كونها عقيب قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ ﴾ [٣].

---

١ – يراجع: المحرر الوجيز (٢٥٧/١)؛ ومفاتيح الغيب (٢٧٠/٥، ٢٧١)؛ ونظم الدرر (٨٢/٣).

٢ – يراجع: أحكام القرآن لابن العربي (١٢٩/١)؛ ومفاتيح الغيب (٢٧١/٥)؛ وأحكام القرآن، أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م) (٢٠٤/١).

٣ – يراجع: التفسير البسيط (٦٠٣/٣)؛ والكشاف (٢٣٠/١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣١٨/٢).

- سابعًا: في قوله تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ صورةٌ أخرى من صور الوضوح والدقة في بيان الأحكام؛ حيث لم يقتصر النظم على قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ للدلالة على إباحة الجماع ويشير إلى سائر المفطرات، بل قرنه بقوله تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ لتتم الدلالة القاطعة على إباحة جميع أصناف المفطرات، بصورة لا يتطرق إليها احتمال [١].
- ثامنًا: في قوله تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ إمعان في توضيح حدود الأحكام؛ بما يحقق إدراك المخاطب لحدود الله تعالى في الفريضة، بصورة ل ا تقبل الريب أو الشك؛ حيث جاء فيها بيان دقيق لوقت إباحة الطعام والشراب وسائر المفطرات، مع تحديد وقت الصوم؛ يدل لهذا المعنى التعبير بـ ﴿ حَتَّىٰ ﴾ و﴿ إِلَى ﴾ الدالتين على انتهاء الغاية؛ وبذلك دلت الآية على أن حل المباشرة والأكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح، وأن الصوم ينتهي عند دخول الليل، وذلك كله بحسب ما يتبين للمكلف وفق استطاعته؛ بدلالة لفظ (لكم) في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ﴾[البقرة: ١٨٧] [٢].

يقول الإمام القرطبي –رحمه الله–: " جعل الله جل ذكره الليل ظرفًا للأكل والشرب والجماع، والنهار ظرفًا للصيام، فبين أحكام الزمانين، وغاير

---

١ – يراجع: التفسير البسيط (٦٠٤/٣)؛ ومفاتيح الغيب (٢٧٢/٥)؛ والإتقان في علوم القرآن (٣٢١/٣).

٢ – يراجع: مفاتيح الغيب (٢٧٣/٥، ٢٧٤)؛ ونظم الدرر (٨٥/٣).

بينهما؛ فلا يجوز في اليوم شيءٌ مما أباحه بالليل، إلا لمسافر أو مريض" [١].

وفي هذا التحديد والتوضيح للأحكام رعاية لطبيعة واقع المكلفين المنقسم بين حظوظ النفس وحقوق الله تعالى [٢].

- تاسعًا: في قوله تعالى:﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ صورة للدقة المتناهية في عرض الحكم الشرعي، من خلال بيان حدود الله المتعلقة بالحكم، حيث جاء صدر الآية بحل إتيان النساء في ليل رمضان، فجاءت هذه الجملة بيان حرمة الجماع أثناء الاعتكاف في المساجد؛ لرفع ما قد يتوهم من إطلاق الحكم الأول بحل إتيان النساء في جميع الأماكن والأحوال غير حال الصوم، وفي هذا الحكم ايضًا إشارةٌ إلى حرمة المساجد وتوقيرها، وفيه إشارةٌ إلى مفهوم التزام المكلف ووقوفه عند حدود الله [٣].
- عاشرًا: في قوله تعالى:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ تأكيدٌ لأحكام الله المتقدمة في الآية، وتعظيم لتحريمها؛ بدلالة الاستئناف البياني، واستعمال اسم الإشارة للبعيد، الدال على علو مكانة تلك الأحكام،

١ – الجامع لأحكام القرآن (٣٢١/٢).

٢ – يراجع: البحر المحيط في التفسير (٢/ ٢١٩).

٣ – يراجع: نظم الدرر (٨٩/٣، ٩٠). وقد ذكر المفسرون اتفاق العلماء على أن المعتكف يحرم عليه النساء ما دام معتكفا في مسجده، ولو ذهب إلى منزله لحاجة لا بد له منها فلا يحل له أن يثبت فيه إلا بمقدار ما يفرغ من حاجته تلك من قضاء الغائط او الأكل، وليس له أن يقبل امرأته ولا أن يضمها إليه، ولا يشتغل بشيء سوى اعتكافه، وهذا يعتبر صورة من صور الالتزام، ولا يتعارض مع معاني التيسير ورفع الحرج. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٨٣/١).

وبعدها منزلة، وإيثار التعبير باسم الجلالة، وقد يحمل على جميع ما تقدم من أحكام في الآيات، وفي هذا الأسلوب حمل للمكلف على الحذر من مخالفة تلك الأحكام، والحرص على التزامها [١].

- حادي عشر: في قوله تعالى:﴿ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ ﴾ إيماءٌ إلى أن الصوم محل الورع؛ لذا كان استعمال لفظ (تقربوها) الدال عن الحذر من قربها، فضلًا عن تعديها أو تجاوزها أليق بمقامه، من نحو (تعتدوها) وغيرها [٢].

- ثاني عشر: في قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ إشارةٌ إلى "أن كل التكليفات الشرعية، وخصوصًا العبادات لتربية النفس المؤمنة على التقوى، وإيداع المهابة من الله تعالى في قلوب العباد، فلا يجترئون فينتهكوا حرمات الشهر الذي عظمه الله تعالى، وجعله مباركا، وأنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان" [٣].

ويلاحظ توظيف النظم في آيات الصيام عامة الصور البيانية للكشف عن الدلالات التفسيرية بصفة عامة، ومن بينها الدلالات النفسية والسلوكية، من ذلك:

- استعمال أسلوب التشبيه في قوله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾.

---

١ – يراجع: التفسير البسيط (٦١٠/٣)؛ ومفاتيح الغيب (٢٧٧/٥)؛ ونظم الدرر (٩٢/٣)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٨٦/٢).

٢ – يراجع: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٢٦)؛ ونظم الدرر (٩٢/٣).

٣ – هو: مقابلة الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٢/ ٢٠٠).

- استعمال الطباق المعنوي [1]، في قوله تعالى:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ ﴾ ، فإنه يقتضي تحريما سابقًا، فكأنه أحل لكم ما حرم عليكم، أو ما حرم على من قبلكم.
- استعمال الكناية في لفظ:﴿ ٱلرَّفَثُ ﴾ ، وهو كناية عن الجماع، أو كناية عن مقدمات الوطء، ومنها الكلام أيا كان ابتذاله ومجونه، لكن التعبير الكنائي عنه بالرفث فيه ستر وإخفاء لحقيقة ما يقال في مخادع الأزواج، إنه لفظ كنائي مهذب، يصور الواقع من وراء ستار، مخفيا قبحه وعوره.
- استعمال أسلوب الاستعارة البديعة في قوله تعالى:﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾.
- استعمال أسلوب العكس [2] في قوله تعالى:﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ ، وجمال العكس في أنه يربط بين أمرين، ويعقد بينهما أوثق الصلات أو أشد ألوان النفور [3].

وختامًا لهذا المطلب ألخص ما تضمنه نظم آيات الصيام من قواعد ضابطة للسلوك الإنساني، وهي:

- الأولى: تحديد الغاية الحقيقية للسلوك: وذلك من خلال بيان علة الحكم ومقاصده وغاياته، بدايةً من قوله تعالى:﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ، ووصولًا إلى قوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي

١ – زهرة التفاسير (٥٦٧/٢). ويراجع: أنوار التنزيل (١٢٦/١).

٢ – هو أن يقدّم جزء فى الكلام على جزء، ثم يؤخّر. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، الإمام بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (بيروت: المكتبة العصرية، الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م) (٢/ ٢٤٠).

٣ – يراجع: البحر المحيط في التفسير (٢/ ٢١٢)؛ ومن بلاغة القرآن (ص: ١٤٤)؛ والموسوعة القرآنية المتخصصة (٥٥٥/١).

قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

- الثانية: تقييد السلوك البشري بمفهوم المباح وغير المباح: وذلك من خلال بيان حدود الله في أداء الفريضة، مع استثمار ذلك في سائر جوانب الشرع؛ ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٨٧].
- الثالثة: علاج ثغرات السلوك البشري الحقيقية والمحتملة: وذلك من خلال تيسير البدائل كالفدية ونحوها؛﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾ [البقرة: ١٨٤] ، وإتاحة التعزيز للسلوك المحتمل النقص؛ بزيادة التطوع في الفدية؛ ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ ﴾ [البقرة: ١٨٤] [(١)].

١ – يراجع: الشخصية الإسلامية المتميزة من منظور قرآني: مقوماتها وكيفية بنائها، د. فرج حمد سالم الزبيدي (الأردن: جامعة آل البيت، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد ١٢، عدد ١، ٢٠١٦م) (ص:٣٣١-٣٣٣).

الخاتمة

- أولا : نتائج البحث:

أسفرت هذه الدراسة الموجزة عن عدد من النتائج، أهمها:

١- أن للبعد النفسي والسلوكي أصالةً ووجودًا في النظم، بدايةً من فكرته، ثم مفهومه وحقيقته، ثم مقاصده وغاياته، وكذلك في التفسير.

٢- يعتبر التفسير الإشاري للقرآن الكريم أحد مظان العناية بالبعد النفسي والسلوكي في النظم القرآني.

٣- يعرض النظم القرآني ملامح البعد النفسي والسلوكي من خلال الصور البيانية، في إطار فكرة النظم.

٤- يضفي إدراك البعد النفسي والسلوكي على كل من النظم القرآني والتفسير مزيدًا من مظاهر البراعة والدقة، التي تسهم في إبراز وجوه الإعجاز القرآني بصورة متكاملة وشاملة.

٥- يمكن استخلاص قواعد ضابطة للسلوك الإنساني المثالي من خلال نظم آيات الصيام في القرآن الكريم، بما يرسم صورة مثالية للصائم، يمكن تطبيقها في الواقع.

- ثانيا : توصيات البحث:

١- دراسة البعد النفسي والسلوكي في النظم القرآني، من خلال تفسير آيات الأحكام.

٢- دراسة البعد النفسي والسلوكي في النظم القرآني، من خلال التفسير التحليلي.

٣- دراسة البعد النفسي والسلوكي في النظم القرآني، من خلال التفسير الموضوعي.

ثبتٌ بالمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).
- أحكام القرآن، أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- أحكام القرآن، أبوبكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٠٥هـ).
- أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢هـ).
- الإسلام عقيدة وشريعة، الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت (القاهرة: دار الشروق، الثامنة عشرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، عصام الدين إبراهيم بن محمد ابن عربشاه الحنفي (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.ت).
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (بيروت: دار الكتاب العربي، الثامنة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م).
- إعجاز القرآن، الإمام أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (القاهرة: دار المعارف، الخامسة، ١٩٩٧م).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى- ١٤١٨هـ).
- الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي جلال الدين محمد ابن عبد الرحمن القزويني الشافعي (بيروت: دار الجيل، الثالثة، د.ت).

- البحر المحيط في التفسير، الإمام أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان الأندلسي (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠ هـ).
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني (القاهرة: طبعة الدكتور حسن عباس زكي، الأولى، ١٤١٩ هـ).
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٩١هـ).
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، العلامة الشيخ عبد المتعال الصعيدي (القاهرة: مكتبة الآداب، السابعة عشرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
- البلاغة العربية، العلامة الشيخ عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة الميداني (دمشق-بيروت: دار القلم- الدار الشامية، الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- البلاغة العربية المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، أ.د/ فضل حسن عباس، ط: دار الفرقان، عمّان، الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، أ.د محمد محمد أبو موسى (القاهرة: دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.ت).
- بيان إعجاز القرآن، الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي المعروف بالخطابي (القاهرة: دار المعارف، الثالثة، ١٩٧٦م).
- تاج العروس من جواهر القاموس، العلامة محمد مرتضى الزبيدي (الكويت: دار الهداية، الأولى، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م).

- التأصيل الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي لاضطرابات ما بعد الصدمة، أ.د كمال إبراهيم مرسي (الكويت: جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، المجلة التربوية، مجلد ١٣، عدد ٥٠، ١٩٩٩م).
- تأويلات أهل السنة، الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الهائم المصري (طنطا: دار الصحابة للتراث، الأولى، ١٩٩٢م).
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الثالثة، ١٩٩٢م).
- التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، أ.د علي صبح (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط.ت).
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).
- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (الرياض: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأولى، ١٤٣٠هـ).
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (تونس: التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م).
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري الدمشقي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩هـ).
- التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود (تونس: منشورات الجامعة التونسية، الأولى، ١٩٨١م).

- تكملة المعاجم العربية رينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م).
- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى، ٢٠٠١م)
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري (القاهرة: عالم الكتب، الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (بيروت: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م).
- الجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (القاهرة: دار الكتب المصرية، الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م).
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (بيروت: دار العلم للملايين، الأولى، ١٩٨٧م).
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد بن إبراهيم الهاشمي (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط.ت).
- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، العلامة محمد بن عرفة الدسوقي (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط.ت).
- حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم، الشيخ عبد الرحمن تاج (القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٣٠، ١٩٧٢م).
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، أ.د عبد العظيم إبراهيم المطعني (القاهرة: مكتبة وهبة، الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أ.د/ أحمد درويش (القاهرة: مكتبة الزهراء، الأولى، د.ت).

- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥ هـ).
- زهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط.ت).
- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
- السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام: دراسة لغوية تحليلية نفسية، د. علي محمد نور المدني (جدة: مجلة جامعة الملك عبد العزيز – الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد ١٧، عدد١، ٢٠٠٩م).
- الشخصية الإسلامية المتميزة من منظور قرآني: مقوماتها وكيفية بنائها، د. فرج حمد سالم الزبيدي (الأردن: جامعة آل البيت، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد ١٢، عدد ١، ٢٠١٦م).
- شرح الإمام العلامة محمد بن منصور الهدهدي على أم البراهين، المسماة بالصغرى للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، وهو مطبوع بهامش حاشية شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الشرقاوي على شرح الهدهدي (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ط، ١٣٣٨هـ).
- شرح العقائد النسفية، للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٤٣٦هـ-٢٠١٤م).
- الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (بيروت: دار العلم للملايين، الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

- الصحة النفسية في الإسلام: المعالج النفسي المسلم، د. السيد عبد الرازق الزتحري (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد ٨، ١٩٨٤م).
- الصورة الأدبية في القرآن الكريم، أ.د صلاح الدين عبد التواب (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، الأولى، ١٩٩٥م).
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ (بيروت: المكتبة العصرية، الأولى، ١٤٢٣هـ).
- عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم، أ.د/ عبد القادر حسين، (بيروت: مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، مجلد ٨، العدد ٤٦، ١٩٨٧م).
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، الإمام بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي ابن عبد الكافي السبكي (بيروت: المكتبة العصرية، الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م).
- علاقة الكلام بالمتكلم في الدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ابتسام حمدان (دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٨٤، الجزء ٤، أكتوبر ٢٠٠٩م).
- علم الدلالة، أ.د أحمد مختار عمر (القاهرة: عالم الكتب، الخامسة، ١٩٩٨م).
- عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أ.د / أحمد محمد الخراط (المدينة المنورة: أبحاث ندوة عناية الملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ).

- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، الأولى، د.ت)
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ).
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م).
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- القرآن وعلم النفس، أ.د محمد عثمان نجاتي (القاهرة: دار الشروق، السابعة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- القول السديد في علم التوحيد، فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبو دقيقة (طبعة مخصصة لطلبة كلية أصول الدين، بدون بيانات أو تواريخ، بتحقيق وتعليق: أ.د عوض الله حجازي).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ).
- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط.ت).
- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (بيروت: دار صادر، الثالثة،١٤١٤هـ) .
- لطائف الإشارات، الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، د.ت).
- اللغة العربية معناها ومبناها، أ.د تمام حسان عمر (بيروت: دار عالم الكتب، الخامسة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (القاهرة: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢هـ).
- المحيط في اللغة، أبو القاسم إسماعيل بن عباد (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م).
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، الإمام أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (بيروت: دار صادر، د.ط، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- المعجم الاشتقاقي المؤصل، أ.د/ محمد محمد جبل (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م).
- المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا (بيروت: دار الكتاب اللبناني، الأولى، ١٩٨٢م).
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أ.د أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).
- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، أ.د أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل (الرياض: مؤسسة سطور المعرفة، الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
- معجم علم النفس والتحليل النفسي، د. فرج عبد القادر طه ومجموعة مؤلفين (بيروت: دار النهضة العربية، الأولى، د.ت).

- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: مكتبة الآداب، الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م).
- معنى المعنى بين عبد القاهر وحازم القرطاجني، د. محمود درابسة (سوريا: مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مجلد ١٩، عدد ١٢، ١٩٩٧م).
- مفاتيح الغيب، الإمام أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الثالثة،١٤٢٠هـ).
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر السكاكي (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- المفردات في غريب القرآن، أبو الحسين الراغب الأصفهاني (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوى (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة، الرابعة، ٢٠٠٧م).
- من وحي الزيادة في القرآن الكريم، علي النجدي ناصف (القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٤٧، ١٩٨١م).
- مناهج بلاغية، أ.د/ أحمد مطلوب، (الكويت: وكالة المطبوعات، د.ط.ت).
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن القرطاجني (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الثالثة، ١٩٨٦م).
- الموسوعة القرآنية المتخصصة (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م).
- النبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن، أ.د/ محمد عبد الله دراز (الدوحة: دار الثقافة، د.ط، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
- النداء في اللغة والقرآن، أ.د أحمد محمد فارس (بيروت: دار الفكر اللبناني، الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).
- النسخ في القرآن الكريم، أ.د مصطفى زيد (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م).
- نظرية اللغة في النقد العربي، أ.د عبد الحكيم راضي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، الأولى، ٢٠٠٣م).
- نظرية النظم بين المعتزلة والأشاعرة، أ.د/ أحمد أبو زيد (المغرب: بحوث ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس المغرب، ١٩٨٨م).
- نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني. مقدماتها- أركانها- قيمتها، د/ خالد ربيع الشافعي (مصر: مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية، يوليو ٢٠٠٦م).
- نظرية النظم: تاريخ وتطور، د.حاتم صالح الضامن (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، أيلول، ١٩٧٩م).
- نظرية عبد القاهر في النظم، د. درويش الجندي (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، د.ط، ١٩٦٠م).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط.ت).

- النظم القرآني وأثره على مقاصد التنزيل الحكيم، د. رجاء محمد عودة (الرياض: مجلة جامعة الملك سعود، المجلد ١١، العدد ١، ١٩٩٩م).
- النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني (القاهرة: دار المعارف، الثالثة، ١٩٧٦م).
- هداية المريد لجوهرة التوحيد، الإمام العلامة برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي (القاهرة: دار البصائر، الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).